﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

وما أنزلنا على قومه : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية .

من بعده : أي من بعد موته .

من جند من السماء : أي من الملائكة لإهلاكهم .

وما كنا منزلين : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك .

إن كانت إلا صيحة واحدة: أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام .

فإذا هم خامدون : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون .

يا حسرة على العباد : أي يا حسرة العباد هذا أوان حضورك فاحضرى وهذا غاية التألم . والعباد هم المكذبون للرسل الكافرون بتوحيد الله .

ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون : هذا سبب التحسُّر عليهم .

ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون : أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم .

وإن كل لما جميع لدينا محضرون : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم .

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي قوم[1] حبيب بن النجار ﴿من بعده﴾ أي بعد موته﴿من جند من السماء﴾ للانتقام من قومه الذين قتلوه لأنه أنكر عليهم الشرك ودعاهم إلى التوحيد وما كُنامنزلين إذ لا حاجة تدعو إلى ذلك. إن كانت إلا صيحة واحدة من[2] جبريل عليه السلام فإذا هم خامدون أي هلكى ساكنون ميتون لا حراك لهم ولا حياة فيهم وقوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد﴾ أي يا حسرة العباد[3] على أنفسهم احضري أيتها الحسرة[4] هذا أوان حضورك ﴿ماياأتيهم من رسول إلا كانوا به[5] يستهزئون﴾ هذا موجب الحسرة ومقتضيها وهو استهزاؤهم بالرسل. وقوله تعالى﴿ألم يروا﴾ أي أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يعلموا القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين، ﴿أنهم إليهم لايرجعون﴾ فيكون هذا هادياً لهم واعظاً فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب ويسعدوا. وقوله تعالى ﴿وإن كلٌ﴾ أي[6] من الأمم الهالكة وغيرها من سائر العباد ﴿لما جميع لدينا محضرون﴾ أي إلا لدينا محضرون لفصل القضاء يوم القيامة فينجو المؤمنون ويهلك الكافرون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل انطاكية بصيحة واحدة.

٢ـ إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم.

٣ـ حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها.

٤ـ طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعاقل من اعتبر بغيره.

٥ـ تقرير المعاد والحساب والجزاء.

---

(١) هذا تابع لقصة حبيب بن النجار صاحب ياسين والجملة معطوفة على جملة قيل ادخل الجنة.

(٢) كون جبريل هو الذي صاح فيهم وارد عند أهل التفسير فإن ثبت عن النبي ﷺ وجب الإيمان به وإلا فلا يجب ولا يلزم الإيمان به إذ جائز أن يكون ملكاً آخر غير جبريل.

(٣) العباد جمع عبد من عباد الله تعالى والعبيد جمع عبد مملوك للناس.

(٤) الحسرة شدة النَّدم مشوباً بتلهف على نفع فائت.

(٥) الاستثناء مفرغ من أحوال عامة من الضمير في «يأتيهم» أي لا يأتيهم رسول في حال من أحوالهم إلا استهزأوا به.

(٦) قرأ نافع وإن كل لما بتخفيف الميم وشددها حفص فعلى تخفيفها تكون إن مخففة من الثقيلة واللام هي اللام الفارقة وما مزيدة للتوكيد. وإن قدرت ما نافية وجب تشديد لما إذ تكون بمثابة الاستثناء أي وما كلهم إلا محضرون لدينا.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

وآية لهم الأرض الميتة : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة.

أحييناها : بإنزال المطر عليها فأصبحت حيّة بالنبات والزروع.

وجعلنا فيها جنات : أي بساتين.

وما عملته أيديهم : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقه.

أفلا يشكرون : أي أفيرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخز منهم.

سبحان الذي خلق الأزواج كلها أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأصناف كلها.

ومن أنفسهم : أي الذكور والإناث.

ومما لا يعلمون : من المخلوقات كالتي في السموات وتحت الأرضين.

معنى الآيات :

لما تقدم في الآيات قبل هذه تقرير عقيدة البعث والجزاء في قوله وإن كلٌ لما جميع لدينا محضرون ذكر هنا الدليل العقلي على صحة إمكان البعث فقال ﴿وآية لهم[1]﴾ أي على صحة البعث الأرض الميتة التي أصابها المحل فلا نبات فيها ولا زرع أحييناها بالمطر فأنبتت من كل زوج بهيج فهذه آية أي علامة كبرى وحجة واضحة على إمكان البعث إذ الخليقة تموت ولم يبق إلا الله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ثم ينزل الله تعالى ماء

(١) وآية لهم مبتدأ والخبر الأرض الميتة. قرأ نافع الميتة بتشديد الياء وسكنها حفص.

من تحت العرش فتحيا البشرية على طريقة الأرض الميتة ينزل عليها المطر فتحيا بالنبات . وهذه المرة تحيا بالبشر إذ يُركب خلقهم من عظم يقال له عجب الذنب هو في بطن الأرض لا يتحلل ومنه يركب الخلق كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحيح . هذا معنى قوله تعالى في الاستدلال على البعث ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا﴾ أي حبّ البُر فمنه أي من ذلك يأكلون الخبز. وقوله ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض الميتة جنات أي بساتين من نخيل وأعناب، وفجرنا فيها من العيون أي عيون الماء، هذه مظاهر القدرة والعلم الإلهي وكلها تشهد بصحة البعث وإمكانه وأن الله تعالى قادر عليه وعلى مثله. وقوله تعالى ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ أي من ثمر المذكور[1] من النخل والعنب وغيره. وقوله ﴿وما عملته[2] أيديهم﴾ أي لم تخلقه ولم تكونه أيديهم بل يد الله هي التي خلقته أفلا يشكرون يوبخهم على عدم شكره تعالى على ما أنعم به عليهم من نعمة الغذاء. وقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج[3] كلها﴾ أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأزواج كلها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ يقدس تعالى نفسه وينزهها عن العجز عن إعادة الخلق ويُذكر بآيات القدرة والعلم وهي نظام الزوجية إذ كل المخلوقات أزواج أي أصناف من ذكر وأنثى فالنباتات على سائر اختلافها ذكر وأنثى والناس كذلك وما هو غائب عنا في السموات وفي بطن الأرض أزواج كذلك ولا وِتْرَ أي لا فرد إلا الله تعالى فقد تنزه عن صفات الخلائق، ومنها كان للحياة الدنيا نوع آخر هو لها كالزوج وهي الحياة الآخرة فهذا دليل عقلي من أقوى الأدلة على الحياة الثانية.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور والمنكرات.

٢- دليل نظام الزوجيّة وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.

---

(١) الثمر بمنزلة الحب للسنبل وهو ما يغله النخل والعنب، وقرأه الجمهور بفتحتين. وقرأه خلافهم بضمتين.

(٢) جائز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم وإنما الله جل جلاله هو الذي انبته وسخره لهم وجائز أن تكون ما موصولة أي والذي عملته أيديهم من أصناف الحلاوات والأطعمة وما يتخذونه كالخبز والجبن وما إلى ذلك وما في التفسير أرجح وأدل على نعم الله وقدرته وقرأ الجمهور ومما عملته بهاء الضمير وقرأ بعض عملت بدونه.

(٣) الأزواج جمع زوج ويطلق على كل من الذكر والأنثى، وعلى الأصناف المختلفة فإن أريد بالأزواج الذكر والأنثى فمن ابتدائية في المواقع الثلاثة وإن أريد بها الأصناف فمن بيانية في المواطن الثلاثة: ولقوله: ومما لا يعلمون مقابل محذوف تقديره وما يعلمون وهذا من دلالة الإشارة.

٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان وبطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات:

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار: وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار أي نزيل النهار عن الليل فإذا هم مظلمون بالليل.

لمستقر لها: أي مكان لها لا تتجاوزه.

ذلك تقدير العزيز العليم: أي جريها في فلكها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه العليم بكل خلقه.

والقمر قدرناه منازل: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة.

حتى عاد كالعرجون القديم: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر.

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر: أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر فيجتمعان في الليل.

ولا الليل سابق النهار: أي بأن يأتي قبل انقضائه.

وكل في فلك يسبحون: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلك يسبحون أي يسيرون والفلك دائرة مستديرة كفلكة المغزل وهو مجرى النيرين والكواكب السيارة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في البرهنة على إمكان البعث ووقوعه لا محالة فقال تعالى ﴿وآية﴾ أي علامة لهم أخرى على قدرة الله على البعث ﴿الليل نسلخ[1] منه النهار﴾ أي انفصل عنه النهار بمعنى نزيله عنه فإذا هم في الليل مظلمون أي داخلون في الظلام فهذه آية على قدرة الله على البعث وقوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها[2]﴾ أي تجري في فلكها منه تبتدىء سيرها وإليه ينتهي سيرها وذلك مستقرها، ولها مستقر آخر وهو نهاية الحياة الدنيا، وإنها لتسجد كل يوم تحت[3] العرش وتستأذن باستئناف دورانها فيأذن لها كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ وكونها تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربّها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أحرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها وقوله تعالى ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي الغالب على مراده العليم بكل خلقه، وتقدير سير الشمس في فلكها بالثانية وتقطع فيه ملايين الأميال أمر عجب ونظام سيرها طوال الحياة فلا يختل بدقيقة ولا يرتفع مستواها شبرا ولا ينخفض شبرا إذ يترتب على ذلك خراب العالم الأرضي كل ذلك لا يقدر عليه إلا الله، أليس المبدع هذا الإبداع في الخلق والتدبير قادر على إحياء من خلق وأمات؟ بلى، بلى إن الله على كل شيء قدير. وقوله تعالى ﴿والقمر قدرناه منازل[4] حتى عاد كالعرجون القديم﴾ هذه آية أخرى على إمكان البعث وحتميته والقمر كوكب منير يدور حول الأرض يتنقل في منازله الثمانية والعشرين منزلة بدقة فائقة وحساب دقيق ليعرف بذلك سكان الأرض عدد السنين والحساب إذ لولاه لما عرف يوم ولا اسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن. فالقمر يبدأ هلالا صغيرا ويأخذ في الظهور فيكبر بظهوره شيئا فشيئا حتى يصبح

---

(١) السلخ الكشط والنزع كسلخ الشاة من جلدها فيبقى اللحم أبيض كذلك يسلخ تعالى النهار من الليل فيبقى الناس في ظلام حالك.

(٢) جائز أن يكون في الكلام حذف أي وآية لهم الشمس تجري وجائز أن يكون الشمس مبتدأ وتجري الجملة خبر أي آية اخرى.

(٣) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمآل أي يصير أمرها فتؤول إلى مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس «أتدري اين تذهب» قال قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع في مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.

(٤) جائز أن يكون قدرنا له منازل أو قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بها بمنزل وهي: السرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيان، الاكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرع المقدم، الفرغ المؤخر، بطين الحوت. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها.

في نصف الشهر بدرا كاملا، ثم يأخذ في الأفول والاضمحلال بنظام عجب حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم أي كعود العرجون أصفر دقيق مقوس كل ذلك لفائدة الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض أليس هذا آية كبرى على قدرة الله العزيز العليم على إعادة الحياة لحكمة الحساب والجزاء؟ بلى إنها لآية كبرى فقوله ﴿لا الشمس ينبغي[1] لها أن تدرك القمر﴾ أي لا يسهل على الشمس ولا يصح منهاأن تدرك القمر فيذهب نوره بل لكل سيره فلا يلتقيان إلا نادرا في جزء معين من الأفق فيحصل خسوف القمر وكسوف الشمس. وقوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ بل كل من الليل والنهار يسير في خط مرسوم لا يتعداه فلذا لا يسبق الليل النهار ولا النهار الليل فلا يختلطان إلا بدخول جزء من هذا في هذا وجزء من ذاك في ذا[2] وهو معنى ﴿يولج الليل في النهـار ويولج النهار في الليل﴾ وقوله ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر والكواكب السيارة في فلك يسبحون فلذا لا يقع فيها خلط ولا ارتطام[3] بعضها ببعض إلى نهاية الحياة فيقع ذلك ويخرب الكون.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتما.

٢ـ ذكر القرآن لأمور الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحي إليه هو رسول الله قطعا.

٣ـ ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحجة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ

---

(١) هذا لأن سير القمر سريع وسير الشمس دونه فلا تدركه.

(٢) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وجيء بضمير الجمع وهما اثنان الشمس والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشمل الكواكب ايضاً.

(٣) هذا لما بين بَينها من أبعاد لا يقادر قدرها ولا يعرف مداها إلا الله خالقها فلذا لا يدرك بعضها بعضاً لشدة الأبعاد بين مداريها.

وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

وآية لهم : أي وعلامة لهم على قدرتنا على البعث.

أنا حملنا ذريتهم : أي ذريّات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان. نجينا ذريّتهم لأنهم مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.

في الفلك المشحون: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.

وخلقنا لهم من مثله : أي من مثل فلك نوح مايركبون.

فلا صريخ لهم : أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم.

ومتاعا إلى حين : أي وتمتيعاً لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم.

اتقوا ما بين أيديكم : أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.

وما خلفكم : أي من عذاب الأخرة إذا أصررتم على الكفر والتكذيب.

وما تأتيهم من آية : أي وما تأتيهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبيّنة من بيناته الدالة على توحيد الله وصدق الرسول إلا كانوا عنهامعرضين غير ملتفتين إليها ولا مبالين بها.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض الآيات الكونيّة للدلالة على البعث والتوحيد والنبوّة فقال تعالى ﴿وآية لهم﴾ أي أخرى غير ما سبق ﴿أنا حملنا ذريّتهم في الفلك المشحون[1]﴾ أي حملنا ذريّة قوم نوح

(١) قرأ نافع ذرايتهم جمع ذرية وقرأ حفص بالإفراد ذريتهم اسم جمع فهو بمعنى ذرياتهم. لفظ الذرية وإن كان أساساً يطلق على الأولاد فإنه اطلق هنا على الآباء والأجداد إذ الكل هم ذرية لآدم عليه السلام والمشحون الموقر بما حمل فيه من سائر المخلوقات.

المؤمنين فأنجيناهم بإيمانهم وتوحيدهم وأغرقنا المشركين فهي آية واضحة عن رضا الله تعالى عن المؤمنين الموحدين وسخطه على الكافرين المشركين المكذبين إن في هذا الإنجاء للموحدين والإغراق للمشركين آية وعبرة لو كان مشركو قريش في مكة يفقهون. وقوله تعالى ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهذه آية أخرى أيضا وهي أن الله أنجى الموحدين في فلك لم يسبق له مثيل ثم خلق لهم مثله ما يركبون إلى يوم القيامة ولو شاء عدم ذلك لما كان لهم فلك إلى يوم القيامة وآية أخرى ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ وهي قدرته تعالى على إغراق ركاب السفن الكافرين وإن فعلنا لم يجدوا صارخا[1] ولا مغيثا يغيثهم وينجيهم من الغرق ﴿إلا رحمة منا[2]﴾ اللهم إلا رحمتنا فإنها تنالهم فتنجيهم ليتمتعوا في حياتهم بما كانوا يتمتعون به إلى حين حضور آجالهم المحدودة لهم. وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون[3]﴾ أي وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بآيات الله المعرضين عن دينه المشركين به اتقوا ما بين أيديكم من العذاب حيث موجبه قائم وهو كفركم وعنادكم، وما خلفكم من عذاب الآخرة إذ مقتضيه موجود وهو الشرك والتكذيب رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أعرضوا كأنهم لم يسمعوا. وقوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات﴾ كلام ربهم القرآن الكريم تحمل الحجج والبراهين على صحة ما يدعون إليه من الإيمان والتوحيد إلا كانواعنها معرضين تمام الإعراض كأن قلوبهم قُدت من حجر والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذريّة قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذريّة والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد.

٢- حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلاّ لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟

٣- بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل.

٤- الإشارة بالمثلية في قوله ﴿من مثله﴾ إلى تنوع السفن من البوارج والغواصات والطربيدات الحربية.

---

(١) الصريخ هو الصارخ وهو المستغيث المستنجد تقول العرب جاءهم الصريخ أي المنكوب المستنجد لينقذوه وهو فعيل بمعنى فاعل.

(٢) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريخ.

(٣) جواب إذا محذوف تقديره اعرضوا وقد ذكر في التفسير.

(٤) الجملة واقعة موقع التذيل وتحمل معنى التأكيد لما سبق من معنى وهو أنهم إذا دعوا إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء اعرضوا ولم يستجيبوا.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات:

وإذا قيل لهم انفقوا : أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين انفقوا علينا.

مما رزقكم الله : أي من المال.

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه : أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم أنطعم من لويشاء الله أطعمه.

إن أنتم إلا في ضلال مبين : أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه.

متى هذا الوعد : أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه.

ما ينظرون إلا صيحة واحدة : أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل.

تأخذهم وهم يخصمون : أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

فلا يستطيعون توصية : أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصيّة.

ولا إلى أهلهم يرجعون بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو المقاهي والملاهي.

فإذا هم من الأجداث : أي القبور إلى ربهم ينسلون أي يخرجون بسرعة.

قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا : أي قال الكفار: من بعثنا من قبورنا؟

هذا ما وعد الرحمن : أي هذا ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون أي فيما أخبروا به.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾[1] أي وإذا قيل لأولئك المشركين المكذبين الملاحدة والقائل هم المؤمنون فقد روي أن أبا بكر الصديق كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم. قال: فما باله لا يطعمهم؟ قال ابتلى قوماً بالفقر وقوماً بالغنى وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل، والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال مبين. أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت فنزلت هذه الآية وبهذه الرواية اتضح معنى الآية الكريمة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للكفار ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ على المساكين ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ الآمرين لهم بالإنفاق ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ قالوا هذا استهزاء وكفرا ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم أيها المسلمون ﴿إلا في ضلال مبين﴾ أي إلا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبّر فيه. وقوله ﴿ويقولون متى[2] هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أي ويقول أولئك الملاحدة المكذبون بالبعث استهزاء واستعجالا: متى هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المسلمون إن كنتم صادقين في دعواكم.

---

(١) اختلف في من هذه قولته؟ وما في التفسير وأنها قولة أبي جهل لأبي بكر أرجحها وأقربها إلى واقع الحال وألصق بالسياق ولا مانع أن يقولها الزنادقة والملاحدة والمستهزئين في كل زمان ومكان.

(٢) الاستفهام للاستبعاد وهو مشوب بالسخرية والاستخفاف لأنه ناجم عن قلوب مظلمة من جراء الكفر والإلحاد قال الشاعر:

متى يأتِ هذا الموت لا يُلْفِ حاجةً لنفس إلا قد قضيت قضاءها

والشاهد في الاستخفاف.

قال تعـالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة اسرافيل في الصور وهي نفخة الفناء ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾[1] أي يختصمون في أسواقهم يبيعون ويشترون، وفي مجالسهم العامة والخاصة إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون قال تعالى ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يوصي بها أحدهم لابنه أو أخيه، ولا إلى أهلهم أي منازلهم وأزواجهم وأولادهم يرجعون بل يصعقون في أماكنهم. وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي صور إسرافيل وهو قرن ويقال له البوق أيضا نفخة البعث من القبور أحياء فإذا هم من الأجداث جمع جدث وهو القبر ينسلون[2] أي ماشين مسرعين إلى ربهم لفصـل القضـاء والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في هذه الدنيا من إيمان وكفر وإحسان وإساءة وعدل وظلم. قالوا ياويلنا أي نادوا ويلهم وهلاكهم لما شاهدوا من أهوال الموقف ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾[3] وأجابهم المؤمنون بقولهم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ إذ واعدنا الله بلقائه وأخبرتنا الرسل به وبتفاصيله وقوله تعالى ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدنيا محضرون﴾ أي ما هي إلا صيحة واحدة لإسرافيل فإذا الكل واقف بين يدي الله تعالى ليحاسب ويجزي قال تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا﴾ أي في هذا اليوم الذي وقفت الخليقة فيه بين يدي ربها لا تظلم نفس شيئا لا بنقص حسنة من حسناتها ولا بزيادة سيئة على سيئاتها. ولا تجزون أيها العباد إلا ما كنتم تعملون من خير وشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان علو الكافرين وطغيانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.

٣ـ الساعة لا تأتي إلا بغتة.

٤ـ الانقـلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه

---

(١) يخصمون بمعنى يختصمون في أمور دنياهم فيموتون في أماكنهم وقد ادغمت التاء في الصاد فنتج عن ذلك قراءات أشهرها قراءة نافع يخصّمون بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة وقرأ حفص يخصِّمون بكسر الخاء والصاد المشددة وقرأ قالون يخصمون بسكون الخاء مع الاختلاس.

(٢) قال ابن عباس وقتادة ينسلون يخرجون ومنه قول امرء القيس: فسـلي ثيابي من ثيابك تنسلي ومنه قيل للولد نسل لأنه يخرج من بطن امه وقيل يسرعون، والنسلان والقسلان الإسراع في السير ومنه مشية الذئب قال:

عسلان الذئب امسى قارباً   برد الليل عليه فنسل

(٣) جائز أن يكون هذا ما وعد الرحمن الخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم صَرَّحُوا بالحقيقة التي كانوا يكذبون بها فاعترفوا قائلين: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وجائز أن يقال لهم كما في التفسير، فإن قلنا بالقول الأول لايصح الوقف على من مرقدنا، وإن قلنا بالقول المثبت في التفسير صح الوقف ويصبح هذا ما وعد الرحمن كلاماً مستأنفاً.

والظاهر أنها أربع الأولى نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفزع[1] والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.

٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨)﴾

شرح الكلمات:

في شغل فاكهون : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء. وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام.

فاكهون : أي ناعمون بالتلذذ بالنعم وذلك لطيب العيش.

على الأرائك : أي الأسِرَّة ذات الحجلة.

ولهم ما يدعون : أي ما يتمنون ويطلبون.

سلام قولا من رب رحيم : أي سلام بالقول من ربّ رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه وتعالى.

معنى الآيات:

ما إن حضروا بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء حتى أعلن عما يلي: إن أصحاب الجنة اليوم[2] في شغل فاكهون أي إنهم في شغل عما فيه أصحاب النار إنهم في شغل بالنعيم المقيم فاكهون[3] أي ناعمون بالتلذذ بألوان المطاعم والمشارب والحور العين إنهم وأزواجهم في ظلال الجنة على الأرائك[4] أي الأسرة ذات الحجلة متكئون. لهم فيها أي في دار السلام فاكهة

---

(١) هذه النفخة مختلف فيها ودليلها حديث البخاري إذ فيه يقول الرسول ﷺ «فأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ولا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى».

(٢) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد: شغلهم افتضاض العذارى وقيل شغلهم زيارة بعضهم بعضاً، والشغل بضم الشين وسكون الغين ويجوز ضم الغين مع الشين.

(٣) فاكهون بالألف وفكهون بدونه كفرحين لغتان وفسر بفرحين ومعجبين وبمسرورين والكل صحيح إذ هو من جملة النعيم الذي هم فيه.

(٤) الأرائك جمع أريكة كسفينة وسفائن قال الشاعر:

كأن احمرار الورد فوق غصونه ... بوقت الضحى في روضه المتضاحك
خدود عذارى قد خجلن من الحياء ... تهادين بالريحان فوق الأرائك

من كل زوج ولون ونوع ولهم ما يدعون أي ما يتمنون ويطلبون، وأعظم من ذلك سلام الربّ تعالى عليهم[1] سلام قولا من ربّ رحيم أي سلام من الله بالقول لا بغيره من أنواع السلامة والسلام. فقد روى البغوي أن رسول الله ﷺ قال بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ يسطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذ الربّ عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله تعالى سلام قولا من ربّ رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير المعاد.

٢- بيان نعيم الجنة.

٣- سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم.

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ

---

(١) استئناف قطع من أن يعطف على ما قبله للاهتمام بمضمونه وسلام مرفوع بالابتداء وهو نكره وتنكيره للتعظيم ولذا صح الابتداء به وحذف الخبر لدلالة المصدر وهو قولاً عليه، والتقدير سلام يقال لهم قولاً من الله تعالى، ومن ابتدائية، وتنوين ربّ للتعظيم.

عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات:

وامتازوا اليوم أيها المجرمون : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها الصالحون إلى الجنة.

ألم أعهد إليكم : أي ألم أوصكم بترك عبادة الشيطان وهي طاعته.

وأن اعبدوني : أي وبأن تعبدوني وحدي وذلك في كتبي وعلى ألسنة رسلي.

هذا صراط مستقيم : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن. هو الإسلام الموصل إلى دار السلام.

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقا كثيرا.

أفلم تكونوا تعقلون : أي اطعتموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم.

هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون: أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم . . . الخ.

اليوم نختم على أفواههم[1] : أي عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين.

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا، ولكنا لم نشأ ذلك رحمة منّا.

فاستبقوا الصراط : اي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون.

ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم: أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في امكنتهم التي هم فيها فلا يستطيعون مضيًا ولا يرجعون.

ومن نعمره ننكسه في الخلق : أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفا عاجزا.

أفلا يعقلون : أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم.

: فتؤمنون وتوحدون فتنجون من العذاب وتسعدون.

---

(١) روى مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ أتدرون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجير عليّ إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وامتازوا[1] اليوم أيها المجرمون﴾ أي يأمر تعالى المجرمين وهم الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك وارتكاب المعاصي فأفسدوها يأمرهم بأن يتميّزوا عن المؤمنين فينفردوا وحدهم ويسار بأهل الجنة إلى الجنة، ثم يوبخ تعالى المجرمين أهل النار بقوله ﴿ألم أعهد إليكم﴾[2] موصياً إياكم على ألسنة رسلي وفي كتبي بأن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وبأن تعبدوني وحدي، ولا تعبدوا الشيطان معي فتشركوه في عبادتي هذا صراط مستقيم أي ترك عبادة الشيطان والقيام بعبادة الرحمن هذا هو الإسلام الصراط المستقيم الذي لا ينتهي بالسالكين إلا إلى باب دار السلام. وقوله ﴿ولقد أضل منكم جبلا﴾ أي خلقا كثيرا هذا من كلام الله الموبخ به للمجرمين. وقوله ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾[3] وهذا تقريع وتوبيخ أيضا أي اطعتموه وهو عدوكم وعصيتموني وأنا ربكم فلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم، وواجب عبادتي عليكم لأني خلقتكم ورزقتكم وكلأتكم الليل والنهار إذاً فهذه جهنم[4] التي كنتم بها تكذبون اصلوها أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون بالله وآياته ولقائه وتكذبون رسله. وقوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ هذا يحدث لما يعرضون على ربهم فيعرض عليهم أعمالهم فينكرون فعندئذ يختم الله على أفواههم فلا يستطيعون الكلام وتنطق باقي جوارحهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ فأعميناهم ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي ابتدروا الطريق كعادتهم فأنى يبصرون الطريق وقد طمس على أعينهم فلا مقلة فيهاولا حاجب، ولكن الله لم يشأ ذلك لرحمته وحلمه على عباده، وقوله ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾[5] أي ولو نشاء مسخ هؤلاء المجرمين من المشركين لمسخناهم في أماكنهم من منازلهم فلا يستطيعون مضيا في الطريق ولا رجوع إلى خلف أي لا ذهاباًولا إياباً، وقوله تعالى ﴿ومن نعمرّه ننكسه[6] في الخلق أفلا يعقلون﴾ فنرده رأسا على عقب

---

(١) يقال مازه فانماز وامتاز، وميزه فتميز وامتازوا أمر من امتاز ويمتاز إذ انفرد عما كان مختلطاً به، والمراد بذلك سوقهم إلى النار بعد أن دخل المؤمنون الجنة.

(٢) الاستفهام للتقرير والتوبيخ على إهمالهم وصيته تعالى إليهم بأن لا يعبدوا الشيطان.

(٣) قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون الاستفهام للتقريع والتأنيب.

(٤) قوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون أي على ألسنة رسلي فكذبتم بها وواصلتم شرككم وكفركم. اصلوها اليوم أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم الذي دسّى نفوسكم وخبثها فحرمتم بذلك دار السلام.

(٥) المكانة تأنيث المكان على تأويله بالبقعة.

(٦) قرأ الجمهور ننكسه بفتح النون الأولى وسكون الثانية مضارع نكس رأسه وقرأها عاصم نُنَكّسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة.

فكما كان طفلا ينمو شيئا فشيئا في قواه العقلية والبدنية حتى شب واكتهل فكذلك ننكسه في خلقه فيأخذ يضعف[1] في قواه العقلية والبدنيّة يوما فيوما حتى يصبح أضعف عقلا وبدنا منه وهو طفل. وقوله أفلا تعقلون أيها المكذبون المجرمون أن القادر على هذا وغيره وعلى كل شيء يريده قادر على أن يحييكم بعد موتكم ويبعثكم من قبوركم ويحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير المعاد وبيان مواقف منه.

٢ـ تأكيد عداوة الشيطان للإنسان.

٣ـ عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفاسدها.

٤ـ التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسخ ونحوه.

٥ـ مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) قال سفيان إذا بلغ المرء ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته   وخانه ثقتاه السمع والبصر

شرح الكلمات :

وما علمناه الشعر : أي وما علمنا رسولنا محمد ﷺ الشعر فما هو بشاعر.

وما ينبغي له : أي وما يصلح له ولا يصح منه.

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين : أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلاّ ذكر أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر لما يظهر من الحقائق العلميّة.

لينذر من كان حياً : أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون.

ويحق القول على الكفارين : أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة.

أنعاما فهم لها مالكون : الأنعام هي الإبل والبقر والغنم.

وذللناها لهم : أي سخرناها لهم وجعلناهم قاهرين لها يتصرفون فيها.

فمنهاركوبهم ومنها يأكلون : أي من بعضها يركبون وهي الإبل ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون.

ولهم فيها منافع ومشارب : المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان

أفلا يشكرون : أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى على هذه النعم بالإيمان والطاعة.

واتخذوا من دون الله آلهة : أي أصناماً يعبدونها زعما منهم أنهاتنصرهم بشفاعتها لهم عند الله.

لا يستطيعون نصرهم : أي لاتقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم.

وهم لهم جند محضرون : أي لا يقدرون على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون. لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسها أحد بسوء فبدل أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبئون لنصرتها.

فلا يحزنك قولهم أي إنك لست مرسلاً وإنك شاعر وكاهن ومفتر.

إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون : أي انهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾ ردّ[1] على المشركين الذين قالوا في القرآن شعر وفي الرسول شاعر فقال تعالى ﴿وما علمناه﴾ أي نبيّنا محمد ﷺ ﴿الشعر[2]، وما ينبغي له﴾ أي لا يصح منه ولا يصلح له. ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي ما هو الذي يتلوه إلا ذكر يذكر به الله وعظة يتعظ به المؤمنون ﴿وقرآن مبين﴾ مبين للحق مظهر لمعالم الهدى أنزلناه على عبدنا ورسولنا لينذر به من كان حياً أي القلب والضمير لإيمانه وتقواه لله ويحق أي به القول وهو العذاب على الكافرين لأنهم لا يهتدون به فيعيشون على الضلال ويموتون عليه فيجب لهم العذاب في الدار الآخرة. وقوله ﴿أو لم يروا﴾ أي أعمي أولئك المشركون ولم يروا مظاهر قدرتنا وإحساننا الموجبة لعبادتنا وهي ﴿أنا خلقنا لهم مما عملت[3] أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، والمراد بالأنعام الماشية من إبل وبقر وغنم وقوله ﴿وذللناها لهم﴾ أي سخرناها لهم بحيث يركبون ويحلبون ويحملون وينحرون ويذبحون ويأكلون، ولولا هذا التسخير لما قدروا عليها أبداً. وقوله ﴿ولهم فيها منافع ومشارب﴾ المنافع كالصوف والوبر والشعر ﴿والمشارب﴾ جمع مشرب وهي الألبان في ضروعها يحلبون منها ويشربون. وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ يوبخهم على أكل النعم وعدم الشكر عليها، وشكر الله عليها هو الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي اتخذ أولئك المشركون آلهة هي أصنامهم التي يعبدونها لعلهم ينصرون أي رجاء نصرتها لهم وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون. قال تعالى في إبطال هذا الرجاء وقطعه عليهم ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وقوله ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي والحال أن المشركين هم جند تلك الأصنام محضرون، عندها يدافعون عنها ويحمونها ويغضبون لها فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك. وقوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم[4]﴾ أي لا تحزن لما يقول قومك من أنك لست مرسلا، وأنك شاعر

---

(١) انه ﷺ مع اصالته في الأدب الرفيع وكيف وهو قرشي مضري لا يحسن إنشاد بيت من الشعر حتى إنه انشد يوماً بيت طرفة فقال:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

فقال أبو بكر والله إنك لرسول الله إذ عجز البيت هكذا ويأتيك بالأنباء من لم تزود.

(٢) وما علمناه الشعر أي وما أوحينا إليه شعراً وما علمناه إياه.

(٣) مما عملت (ما) موصولة بمعنى الذي وحذف العائد وهو الضمير لطول الاسم أي عملته. وإن قلناه «ما» مصدرية فلا حاجة إلى مراعاة العائد ولا تقديره.

(٤) قرىء يحزنك بضم الياء من أحزنه يحزنه وقرىء يحزنك بفتح الياء وضم الزاي، والنهي عن الحزن نهي عن أسبابه الموجبة له، إذ الحزن لا يملك الإنسان دفعه ولكن يستطيع تجنب مثيراته والمراد من هذا النهي تسلية الرسول ﷺ عما يواجهه به المشركون من انه ساحراً أو شاعر وما إلى ذلك.

وساحر وكاهن إلى غير ذلك من أقاويلهم، ﴿إنا نعلم مايسرون ومايعلنون﴾[1] وسنجزيهم عن قولهم الباطل ونأخذهم بكذبهم وافترائهم عليك كمانحن نعلم أنهم ماقالوا الذي قالوا إلا حسداً لك، وإلا فهم يعلمون أنك رسول الله وما أنت بالساحر ولا الشاعر ولا المجنون، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون.

٢ـ الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان.

٣ـ بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لايقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليما وتذكيرا.

٤ـ وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها.

٥ـ بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسها أحد بسوء.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

---

(١) جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون جملة تذييلية المراد منها أمران تطمين الرسول ﷺ على كفاية الله تعالى له وان كيدهم لا يضره وتهديد للمشركين بإعلامهم ان الله مطلع على ما يمكرون وسيجزيهم به.

إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

أو لم ير الإنسان : أي المنكر للبعث كالعاصي بن وائل السهمي ، وأبيّ بن خلف.

أنا خلقناه من نطفة : أي من منيّ إلى أن صيرناه رجلا قويا .

فإذا هو خصيم مبين : أي شديد الخصومة بيّنها في نفي البعث.

وضرب لنا مثلا : أي في ذلك ، إذ أخذ عظما وفته أمام رسول الله وقال أيحيي ربك هذا؟

ونسى خلقه : أي وأنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلا يخاصم فالقادر على الخلق الأول قادر على الثاني .

من يحيى العظام وهي رميم : أي وقد رمّت وبليت.

من الشجر الأخضر نارا : أي من شجر المرخ والعفار يحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار.

بقادر على أن يخلق مثلهم : أي مثل الأناسي .

بلى : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس .

إذا أراد شيئا : أي خلق شيء وإيجاده .

بيده ملكوت : أي ملك كل شي ،، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه .

وإليه ترجعون : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء تلك العقيدة التي يتوقف عليها غالباً هداية الإنسان وإصلاحه فقال تعالى ردّا على العاصي بن وائل السهميّ و أبي بن خلف حيث جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففته وذراه وقال أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله

ﷺ نعم يَميتك ثم يحييك ثم يحشرك إلى جهنم ونزلت هذه الآيات ﴿أو لم ير الإنسان﴾[1] أي أينكر البعث وهو يعلم أنا خلقناه من نطفة أي من ماء مهين وسويناه رجلا فإذا هو خصيم لنا أي مخاصم يرد علينا ويشرك بنا وينكر إحياءنا للأموات وبعثهم يوم القيامة فكيف يعمى هذا العمى ويجهل هذا الجهل القبيح ، إذ القادر على البدء قادر عقلا على الإعادة وهي أهون عليه . وقوله ﴿وضرب لنا﴾ أي هذا المنكر للبعث مثلا أي جعل لنا مثلا وهو انكاره علينا قدرتنا على البعث حيث جعل إعادتنا للخلق أمرا عجبا وغريبا إذ قال ﴿من يحيى العظام وهي رميم﴾[2] أي قد رمّت وبليت . ونسى خلقه من ماء حقير وكيف جعله الله بشرا سويا يجادل ويخاصم فلو ذكر أصل نشأته لخجل أن ينكر إحياء العظام وهي بالية رميم؟ ولما قال من يحيى العظام وهي رميم؟ . وقـوله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ وهذا هو القياس العقلي الجلي الواضح إذ بالبداهة أن من أوجد شيئا من العدم قادر على إيجاد مثله . وقوله ﴿وهو بكل خلق﴾ أي مخلوق عليم فالعلم والقدرة إذا اجتمعا كان من السهل إيجاد ما أُعدم بعد أن كان موجودا فأُعدم لاسيما أن الموجد من العدم هو المخبر بالإعادة وبقدرته عليها .

هذا برهان قطعي وثاني برهان في قوله ﴿الذي جعل لكم من[3] الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي النار وتشعلونها ، ووجه الاستدلال أن البعث لو كان مستحيلا عقلا وما هو بمستحيل بل هو واجب الوقوع لكان على الله غير مستحيل لأن الله تعالى قد أوجد من المستحيل ممكنا وهو النار من الماء ، إذ الشجر الأخضر[4] ماء سار في أغصان الشجرة . ومع هذا يوجد منها النار ، فكان هذا برهانا عقليا يسلم به العقلاء ولا ينازعون فيه أبدا ، وبرهان ثالث وهو في قوله ﴿أو ليس الـذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؛ ؟ ووجه البرهنة فيه أننا ننظر إلى السموات السبع وما فيها من خلق عجيب وإلى الأرض وما فيها كذلك وننظر إلى الإنسان فنجده

---

(١) روي أيضـاً أن العاص بن وائل أتى النبي ﷺ بعظم حائل فقال يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رمّ؟ فقال النبي ﷺ نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الآية .

(٢) يقال رمّ العظم يرم فهو رميم ورمام وقال رميم ولم يقل رميمة لأنها معدولة عن فاعله نحو بغياً لم يقل بغية لأنه معدول عن باغية

(٣) هذا الكلام مستأنف ابتدائيا الغرض إقامة الحجة العقلية على صحة البعث وإمكانه وهو ما أنكره المشركون واستبعدوه فذكر لهم أن الذي يخرج من الماء الرطب البارد النار وهما لا يجتمعان ، قادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير.

(٤) قال القرطبي يعني بالآية مع في المرخ والعفار وهي زنادة العرب التي يشعلون بها النار، ومن ذلك قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار.

لا شيء إذا قوبل بالسموات والأرض فنحكم بأن من خلق السموات والأرض على عظمها قادر من باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى بعد موته وبلاه وفنائه . ولذا أجاب تعالى عن سؤاله بنفسه فقال ﴿بلى وهو[1] الخلاق العليم﴾ أي الخلاق لكل ما أراد خلقه العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها، وبرهان رابع في قوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ ووجه الاستدلال أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاده أن يقول له كن فهو يكون. لا يستنكر عليه عقلا أن يحيي الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم .

وأخيرا ختم هذا الرد المقنع بتنزيه نفسه عن العجز فقال ﴿فسبحان[2] الذي بيده ملكوت كل شيء﴾[3] أي ملك كل شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ أحببتم أم كرهتم أيها الآدميون منكرين كنتم للبعث أم مقرين به مؤمنين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة .

٢ـ مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة .

٣ـ تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص .

٤ـ تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له .

---

(١) بلى لنقض النفي أي بل هو قادر على أن يخلق مثلهم كقوله أليس الله بأحكم الحاكمين؟ فالجواب بلى أي هو أحكم الحاكمين إبطال لما نفته ليس إذ هي حرف نفي .

(٢) فسبحان : نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك والعجز. والملكوت، والملكوتى : بمعنى نحو جبروتى ورحموتى من الجبروت والرحموت والعرب تقول جبروتى خير من رحموتى .

(٣) الملكوت مبالغة في الملك بكسر الميم من ذلك قولهم رهبوت خير من رحموت أي ليرهبك الناس خير من أن يرحموك لأن مع الرهبة العزة ومع الرحمة الضعف والعجز .

سُورَةُ الصَّافَّات

مكية
وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

والصافات صفا : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء.

فالزاجرات زجرا : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله.

فالتاليات ذكرا : أي فالجماعات التاليات[1] للقرآن ذكرا.

إن إلهكم لواحد : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد.

رب السموات والأرض وما بينهما : أي هو ربُّ السموات والأرض وما بينهما أي خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما.

ورب المشارق : أي والمغارب وهي مشارق الشمس ومغاربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب.

---

(١) جائز أن تكون الجماعات التالية لكلام الله تعالى من الملائكة ومن البشر روى مسلم انه ﷺ قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء.

وحفظا من كل شيطان مارد : أي وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة.

لا يسمعون إلى الملأ الأعلى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العلا.

ويقذفون من كان جانب دحوراً: يُرمون بالشهب من كل جوانب السماء دحورا أي إبعاداً لهم.

عذاب واصب : أي دائم لا يفارقهم.

إلا من خطف الخطفة : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب.

فاتبعه شهاب ثاقب : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿والصافات صفا﴾[1] هذا قسم إلهي يؤكد به تعالى إلهيته على عباده فقد أقسم بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا أي قرآنا، وسواء قلنا أقسم بهذه المخلوقات إذ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وإنما الممنوع أن يقسم العبد بغير ربّه تعالى. أو قلنا أقسم تعالى بنفسه أي وربّ الصافات الخ فالقسم حاصل من أجل تقرير التوحيد، وهذا الإقسام جار على عرف البشر في أنهم إذا أخبروا بشيء يشكون في صحته فيؤكد لهم المُخبر الخبر باليمين ليزيل الشك من نفوسهم. وقوله ﴿إنّ إلهكم لواحد﴾[2] هو المقسم عليه وهو أن إله البشرية كلهاواحد وهو الله خالقها ورازقها وليس لها من إله غيره، وما عندها من آلهة فهي آلهة باطلة ويكفي في بطلانها أنها أصنام وصور وتماثيل وصلبان لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر. وقوله ﴿ربّ السموات[3] والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ تدليل على وحدانية الله تعالى إذ هو خالق السموات والأرض وما بينهماومالكهما ومدبر الأمر فيهما، وربّ المشارق أيضا والمغارب أي مشارق الشمس ومغاربها إذ كل يوم تشرق وتغرب في درجة معينة فالإله الحق هو الخالق للعوالم والمدبر لها لا الذي ينحته الرجل بيده ويقول هو إلهي زوراوباطلا. ألا فليتحرر المشركون من أسر الشيطان ويعبدوا الرحمن. وقوله تعالى ﴿إنا زينا السماء[4] الدنيا بزينة الكواكب[5]﴾ هذه مظاهر القدرة والعالم

---

(١) روى مسلم وغيره عنه ﷺ قال «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف.

(٢) هذا جواب القَسم وهو المقسم عليه والصافات الملائكة تصف أجنحتها في السماء أو تصف للصلاة كما يصف المؤمنون للصلاة في الدنيا، وجائز أن يراد بالصافات صفوف المؤمنين في الصلاة وفي الجهاد.

(٣) رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو رب السموات الخ.

(٤) هذه الجملة بمثابة الدليل على ربوبية الله تعالى الموجبة للألهية له سبحانه وتعالى دون سواه.

(٥) قرأ الجمهور بزينة الكواكب بإضافة زينة إلى الكواكب وقرأ حفص بتنوين زينة وجر الكواكب على البدلية ومنهم من نصب الكواكب على الاختصاص والكواكب جمع كوكب وهي تلك الأجرام الكريّة السماوية ومنها الثوابت ومنها السيارة وهي كل ما يرى في السماء ما عدا الشمس والقمر وتسمى النجوم وهي تختلف في أحجامها.

والحكمة إنه وحده تعالى زين السماء الدنيا أي القريبة من الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المنيرة. وقوله ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾[1] أي وحفظنا السماء حفظا تاما من كل شيطان عادٍ متمرد عن الطاعة. وقوله ﴿لايسمّعون[2] إلى الملأ الأعلى﴾ أي لا يتسمعون إلى الملائكة في السماء حتى لا ينقلوا أخبار الغيب إلى أوليائهم من الكهان في الأرض. وقوله ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرمى أولئك المردة من الشياطين من قبل الملائكة من كل جهة من جهات السماء دحورا أي لدَحرهم وإبعادهم. وقوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصبٌ[3]﴾ لأولئك المردة من الشياطين عذاب واصب موجع دائم وقوله ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي اختطف الكلمة بسرعة ﴿فأتبعه شهابٌ[4] ثاقب﴾ أي كوكب مضيء فثقبه فقتله أو أحرقه أو خبله أي أفسده، وبهذا حُمِيت السماء بالملائكة من دخول الشياطين إليها واستراق السمع. والحمد لله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويها بعظمتها المقرر ضمنا لعظمة خالقها وإما بيانا لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.

٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.

٣- بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.

٤- بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال لكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.[5]

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ

(١) قال أهل العلم النجوم لثلاثة للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وكزينة للسماء بما فيها من أنوار وللحفظ من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة فمن طلبها لغيرها فقد أساء واعتدى.

(٢) قرأ الجمهور لا يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرأ حفص عن عاصم لا يسّمعون بتشديد السين والميم مفتوحتين الأصل لايتسمعون من التسمع فقلبت التاء سيناً وأدغمت في السين.

(٣) الواصب: الدائم يقال وصب يصب وصوبا إذا دام وهو عذاب الآخرة.

(٤) يقال له في علم الهيئة النيزك وعن ابن عباس الشهاب لا يقتل ولكن يخترق ويخبل.

(٥) صح في الحديث أن من الجائز أن ينجو مسترق السمع من شهب الملائكة، ويلقي بالكلمة التي استرقها إلى الكاهن أو الساحر بعدما يضيف إليها تسعاً وتسعين كلمة.

وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

فاستفتهم : أي استخبر كفار مكة تقريرا وتوبيخا.

أهم أشد خلقا أم من خلقنا: أي خلقهم في ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.

من طين لازب : أي يلصق باليد.

بل عجبت ويسخرون : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث، وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به.

وإذا ذكروا لا يذكرون : أي وإذاوعظوا لا يتعظون.

وإذا رأوا آية يستسخرون : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون أي يستهزئون.

قل نعم وأنتم داخرون : أي قل لهم يارسولنا نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء.

فإنما هي زجرة واحدة : أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية.

هذا يوم الدين : أي يوم الحساب والجزاء.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء وقوله تعالى فاستفتهم[1] أي استخبرهم واطلب جوابهم أي بقولك آنتم أشد خلقا أي في ذواتكم وفي إحيائكم بعد مماتكم أم من خلقه الله من الملائكة والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما؟ والجواب معلوم وهو أن خلق غيرهم

(١) مأخوذ من استفتاء المفتي والفتيا هي اخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص في غرض ما والاستفهام هنا تقريري.

من العوالم أشد خلقا إذاً فكيف ينكرون البعث بدعوى استحالة وجوده لصعوبته قال تعالى ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي خلقنا أباهم آدم من طين لازب أي لاصق يلصق باليد ثم خلقناهم بطريق التناسل أفيعجزنا إعادة خلقهم مرة أخرى والجواب لا. لا وقوله تعالى ﴿بل[1] عجبت﴾ أي من تكذيبهم بالبعث لوضوح الأدلة على إمكانه ووجوب وجوده ﴿ويسخرون﴾ أي وهم يسخرون من ذلك أي يستهزئون من قولك بالبعث وإمكانه. وقوله تعالى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي بالآيات لعلهم يذكرون فيؤمنون ويوحدون لا يذكرون لقساوة قلوبهم وظلمة ذنوبهم بالشرك والمعاصي. وقوله ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون[2]﴾ أي يسخرون ويستهزئون ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جاء به محمد ﷺ من القول والعمل إلا سحر مبين أي بَيِّنٌ ظاهر وهم في ذلك كاذبون قطعا للفرق بين السحر الذي هو تخيل باطل وبين الحق الثابت عقلا ووحيا من دقائق الشرع وأصول الدين من الإيمان بالله واليوم الآخر وقوله ﴿أئذا متنا[3] وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ هذا قول المكذبين من المشركين يقولونه متعجبين مستبعدين للبعث قال تعالى ردًا عليهم قل يارسولنا لهم ﴿نعم﴾ تبعثون أحياء ﴿وأنتم داخرون﴾ أي صاغرون ذليليون وأمر إعادتكم لا يتطلب أكثر من أن ينفخ اسرافيل في الصور فإذا أنتم أحياء تخرجون من قبوركم ﴿فإنما هي زجرة﴾ أي صيحة ﴿واحدة فإذا هم﴾ قيام ﴿ينظرون﴾ ويقولوا أي عند قيامهم من قبورهم ﴿ياويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر هذا أوان حضورك أي يدعون على أنفسهم بالهلاك لشدة ما شاهدوا من هول القيامة كقول أحدهم ياليتها كانت القاضية. وقولهم هذا يوم الدين اعتراف منهم بالبعث والجزاء ولكن في وقت ما هو بنافع لهم الاعتراف فيه أي هذا يوم الحساب والجزاء فيقال لهم ﴿هذا يوم الفصل[4]﴾ الذي يفصل الله تعالى فيه بين عباده فيما كانوا فيما يختلفون فيحكم بنيهم بالعدل، وقوله تعالى ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ فيه توبيخ لهم أي هذا يوم البعث الذي كنتم تكذبون به وتقولون مستبعدين له أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو أباؤنا الأولون أي وآباؤنا الأولون أيضا.

---

(١) بل للاضراب الانتقالي من التقرير التوبيخي إلى حالهم العجب قرأ الجمهور عجبت بفتح التاء والخطاب للنبي ﷺ وقرأ ابن مسعود بضم التاء ونسبة العجب إلى الله تعالى ليست كنسبته إلى خلقه كسائر صفاته تعالى.

(٢) سخريتهم هذه من محاجة النبي ﷺ إذ أتاهم بالآيات القرآنية الحاملة للأدلة العقلية وهم لجهلهم وعجزهم يدفعونها بالاستسخار والإنكار وهذا غاية الجهل والضلال.

(٣) الاستفهام إنكاري وجملة وأنتم داخرون في محل نصب على الحال.

(٤) جائز أن يكون «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» من قول الله تعالى والملائكة لهم وجائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد.

٢- بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه.

٣- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه.

٤- عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب.

﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)

شرح الكلمات :

احشروا الذين ظلموا : أي أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وأزواجهم : أي قُرناءهم من الشياطين.

من دون الله : أي من غير الله من الأوثان والأصنام.

فاهدوهم : أي دلوهم وسوقوهم.

إلى صراط الجحيم : أي إلى طريق النار.

وقفوهم إنهم مسؤولون : أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسؤولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

ما لكم لا تناصرون : أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا توبيخا لهم.

إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين : أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل وتحسّنون له الشر فتأمرونه بالشرك وتنهونه عن التوحيد.

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين : أي قال قرناؤهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساسا مؤمنين.

وما كان لنا عليكم من سلطان : أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل.

بل كنتم قوما طاغين : أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على ذلك.

معنى الآيات:

ما زال السياق في موقف عرصات القيامة إنهم بعد اعترافهم بأن هذا يوم الدين وردّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ يقول الجبار عز وجل ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي احشروا الذين ظلموا بالشرك والمعاصي[1]، وقوله ﴿وأزواجهم﴾ أي قُرناءهم[2] من الجن ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام والأوثان. وقوله تعالى ﴿فاهدوهم[3] إلى صراط الجحيم﴾ يقول الله عز وجل فاهدوهم أي دلوهم إلى طريق النار. ويقول ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ ثم يسألون ﴿ما لكم لا تناصرون[4]﴾ أي لاينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا. كيف ينصر بعضهم بعضا في مثل هذا الموقف الرهيب بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون ذليلون وقوله تعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أي أقبل الأتباع على المتبوعين يتساءلون أي يتلاومون كلّ يلقي بالمسؤولية على الآخر. فقال الأتباع من الإنس لقرنائهم من الجن ما أخبر تعالى به عنهم ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين[5]﴾ أي والشمال أي توسوسون لنا فَتُحَسِّنُون لنا الشرك والشر بل تأمروننا به وتحضوننا عليه. فرد عليهم قرناؤهم بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي ما كنتم مؤمنين فكفرناكم ولا

---

(١) ظلموا بمعنى اشركوا لأن الشرك اقبح أنواع الظلم شاهده قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والأمر في قوله (احشروا) الله عز وجل والمأمور الملائكة والمأمور بحشرهم المشركون.

(٢) وفسر أزواجهم أيضاً بأشياعهم وقرناؤهم وهم من الجن وما في التفسير أولى.

(٣) أي سوقوهم إلى النار والمأمور الملائكة كما تقدم.

(٤) ما لكم لا تناصرون أي ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

(٥) اضطرب أهل التفسير في تفسير تأتوننا عن اليمين وأقوالهم متضاربة فمنهم من قال تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة، ومنهم من قال اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه انكم تأتوننا من كل جهة تحاولون اغواءنا-واضلالنا.

صالحين فأفسدناكم، ولا موحدين فحملناكم على الشرك. هذا أولا وثانيا ما كان لنا عليكم من سلطان أي من حجج قوية أقنعناكم بها ، ولا قدرة لنا أرهقناكم بها فاتبعتمونا، بل كنتم أنتم قوما طاغين أي ظلمة متجاوزين الحد في الإسراف والظلم والشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان صورة لموقف من مواقف عرصات القيامة.

٢ـ بيان أن الأشباه في الكفر أو في الفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.

٣ـ عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)

شرح الكلمات:

فحق علينا قول ربنا : أي وجب علينا العذاب.

إنا لذائقون : أي العذاب نحن وأنتم.

فأغويناكم إنا كنا غاوين : أي أضللناكم إنا كنّا ضالين

فإنهم يومئذ : أي يوم القيامة.

في العذاب مشتركون : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين.

إنا كذلك نفعل بالمجرمين : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد.

إنهم كانوا إذا قيل لهم : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم الرسول.

لا إله إلا الله يستكبرون : أي قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون ولا يوحدون.

لشاعر مجنون : يعنون محمد ﷺ.

بل جاء بالحق وصدق المرسلين: أي بل جاء بلا إلـه إلا الله وهو الحق الذي جاءت به الرسل وقد صدّقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم فيما ذكر تعالى من تساؤلات الظالمين وما قاله الأتباع للمتبوعين وما قاله المتبوعون للاتباع فقوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون﴾[1] هذا قول المتبوعين لأتباعهم قالوا لهم فبسبب غوايتنا وضلالنا وجب علينا العذاب إنا وأنتم لذائقوه لا محالة. وقالوا لهم أيضا معترفين بإغوائهم لهم فأغويناكم إنا كنا غاوين هذا قول الجن للإنس قال تعالى ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ وذلك لاشتراكهم في الشرك والشر والفساد. وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ من سائر الأصناف كالزناة وأكلة الربا وسافكي الدماء فنعذب الصنف مع صنفه وهذا عائد إلى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشياعهم وأضرابهم وقوله تعالى ﴿إنهم[2] كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ يخبر تعالى عن مشركي قريش أنهم كانوا في الدنيا إذاقال لهم رسول الله أو أحد المؤمنين[3] قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ويشمئزون ولا يقولونها بل ويقـولـون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر[4] مجنون يعنون النبي محمداًﷺ يصفون القرآن بالشعر ومحمداً ﷺ تاليه وقارئه بالشعر ولما يدعوهم إليه من الإيمان بالبعْث والجزاء بالجنون والرسول في نظرهم مجنون. فرد تعالى عليهم بقوله ﴿بل[5] جاء بالحق﴾ أي لم يمكن رسولنا بشاعر ولامجنون بل جاء بالحق فأنكرتموه وكذبتم به تقليدا وعنادا فقلتم ما قلتم. وإنما هو قد جاء بالحق الذي هو لا إله إلا الله ﴿وصدق المرسلين﴾ الذين جاءوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والدعوة إليها والحياة والموت عليها.

---

(١) أي وجب علينا قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب شاهده قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقول الرسول ﷺ إن الله عز وجل كتب للنار أهلا وللجنة أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.

(٢) إنهم كانوا: هذه الجملة تعليلية للحكم السابق وهو بيان العلة منه وفي الكلام حذف تقديره أنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله فحذف القول للعلم به.

(٣) شاهده حديث ابن أبي حاتم قوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه إلى الله» وهو في الصحيح بأوسع منه.

(٤) أي لقول شاعر فحذف القول لظهوره.

(٥) بل للاضراب الانتقالي أي اضرب عن قولهم: شاعر مجنون الباطل وقد سبق الحق المبين وهو شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه .

٢ـ بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التُّهم الباطلة وردّ الله تعالى عليها .

٣ـ التعظيم من شأن لا إله إلا الله وانها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي محمداً ﷺ .

٤ـ تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية .

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

وما تجزون إلا ما كنتم تعملون : أي إلّا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي .

إلا عباد الله المخلصين : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده فإنهم يجزون بأكثر أعمالهم إذ الحسنة بعشر أمثالها وأكثر .

لهم رزق معلوم : أي في الجنة بكرة وعشيا .

فواكه : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه فليس هو لحفظ أجسامهم حية كما في الدنيا .

وهم فيها مكرمون : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئا بخلاف أهل النار يقال لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون .

من معين	: أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على الأرض.
لذةٍ للشاربين	: أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين.
لا فيها غول	: أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم.
ولا هم عنها ينزفون	: أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا.
قاصرات الطرف	: أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن.
عين	: أي واسعات الأعين الواحدة عيناء.
بيض مكنون	. أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غُبار ولا غيره.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿إنكم لذائقوا[1] العذاب الأليم، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ هذا يقال لأهل النار وهم موقوفون يتساءلون ومن جملة ما يقال لهم عندئذ هذا القول فيخبرون بأنهم ذائقوا العذاب الأليم الموجع، وأنهم ما يجزون إلا بما كانوا يعملون فلا يظلمون بالجزاء بل هو جزاء عادل السيئة بمثلها. وهنا استثنى تعالى جزاء عباده المؤمنين الذي استخلصهم لعبادته فعبدوه ووحدوه فإنهم يجزون بأكثر من أعمالهم فضلا منه عليهم وإحسانا إليهم فالحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعمائة وأكثر، فقال ﴿إلاّ عباد الله المخلصين﴾ وبيّن تعالى بعض جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي يأكلونه بكرة وعشياً[2]، وقوله فواكه[3] فيه إشارة إلى أنهم لا يأكلون ولا يشربون لحفظ أجسادهم من الموت والفناء، وإنما يأكلون ما يأكلون ويشربون ما يشربون تلذذا بذلك لا لدفع غائلة الجوع كما في الدنيا. ﴿وهم مكرمون﴾ أي في الجنة حيث لا تلحقهم إهانة أبدا، وقوله في جنات النعيم أضاف الجنة إلى النعيم مبالغة في وصفها بالنعيم حتى جعل الجنة جنّة النعيم فجعل للنعيم وهو النعيم جنـة، وأخبر أنهم متكئون فيها على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض وهم في جلسات تنعم، وأخبر عنهم أنهم في حال جلوسهم متقابلين يسقون بواسطة خدم من الملائكة خاص فقال ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي من خمر تجرى بها الأنهار كأنها عيون الماء، ووصف

(١) الأصل لذائقون العذاب فحذفت النون تخفيفاً واضيف لذائقوا إلى العذاب فخفض ولو نصب لجاز كقول الشاعر:

فألفيته غير مستعتب   ولا ذاكر الله إلا قليلا

(٢) إلا عباد الله المخلصين: الاستثناء منقطع في معنى الاستدراك وهو تعقيب الكلام بما يضاده أو يرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه وهو الغالب في الاستدراك قرأ الجمهور المخلصين باسم المفعول وقرأها غيرهم باسم الفاعل بكسر اللام والمراد بهم أمة محمد ﷺ كما روي عن الشافعي قوله:

ومما زادني شرفا وفخرا   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك ياعبادي   وأن أرسلت أحمد لي نبيا

(٣) عطف بيان من رزق معلوم والمعنى أن طعامهم كله من الأطعمة التي يتفكه بها لا مما يؤكل للشبع.

الخمر بأنها بيضاء وأنها لذة عظيمة للشاربين لها، وأنها لا فيها غول وهو ما يغتال أبدانهم كالصداع ووجع البطن فقال ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾[1] أي لا يسكرون بها فتذهب بعقولهم. وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يعني أن لهم نساء هنّ أزواج لهم ومعنى قاصرات الطرف أي على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم وذلك لحسنهم وجمالهم فلا تنظر الواحدة منهن إلا إلى زوجها. وقوله ﴿عين﴾ أي واسعات الأعين ﴿كأنهن بيض[2] مكنون﴾ هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء ومعنى ﴿مكنون﴾ مستور لا ينالهُ غبار ولا أي أذىً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا.

٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة.

٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل.

٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشرابا وجلوسا واستمتاعا.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي

---

(١) ينزفون بالبناء للمجهول قراءة الجمهور من نزف الشارب فهو منزوف ونزيف شبهوا عقل الشارب بالدم يقال نزف دم الجريح أي أفرغ وأصله من نزف الرجل ماء البئر إذا نزحه ولم يبعد منه شيئاً. وقرأ البعض ينزفون من انزف الرباعي الشارب إذا ذهب عقله بالسكر أي صار ذا نزف فالهمزة للصيرورة لا للتعدية.

(٢) العرب تشبه النساء بالبيض لصفائهن وبياضهن قال امرؤ القيس الشاعر الجاهلي:

وبيضة خدر لا يُرام خباؤها   تمتعت من لهو بها غير معجل

أطلق لفظ البيضة على المرأة.

لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

فأقبل بعضهم على بعض : أي أقبل أهل الجنة.

يتساءلون : أي عما مرّ بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها.

إني كان لي قرين : أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر.

يقول لي أئنك لمن المصدقين : أي يقول تبكيتاً لي وتوبيخاً أي بالبعث والجزاء.

أءنا لمدينون : أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكاراً وتكذيبا.

هل أنتم مطلعون : أي معي إلى النار لننظر حاله وما هو فيه من العذاب.

فاطلع فرآه في سواء الجحيم : أي في وسط النار.

تالله إن كدت لتردين : أي قال هذا تشميتاً به، ومعنى تردين تهلكني.

لكنت من المحضرين : أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها.

أفما نحن بميتين : أمخلدون فما نحن بميتين، والاستفهام للتقرير أي نعم.

إلا موتتنا الأولى : التي ماتوها في الدنيا.

لمثل هذا فليعمل العاملون : أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل العاملون وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئآت.

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان نعيم أهل الجنة فقد قال بعضهم لبعض بعد أن جلسوا على السرر متقابلين يتجاذبون أطراف الحديث متذكرين ما مرّ بهم من أحداث في الحياة الدنيا فقال أحدهم إنّي كان لي في الدنيا قرين أي صاحب يقول لي استهزاء وانكارا للبعث الآخر ﴿أئنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث والجزاء على الأعمال في الدنيا. ويقول أيضا مستبعدا منكراً ﴿أئذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أي محاسبون ومجزيون. ثم قال ذلك القائل لبعض

أهل مجلسه ﴿هل أنتم مطلعون[1]﴾ أي معي على أهل النار لنرى صاحبي فيها ونسأله عن حاله فكأنهم أبوا عليه ذلك وأبوا أن يطلعوا أما هو فقد اطّلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسطها[2]، وقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال تالله﴾ أي والله ﴿إن كدتَ[3] لتردين﴾ أي تهلكني لما كنت تنكر عليّ الإيمان بالبعث وتسخر مني وتشمت بي لإيماني وعملي الصالح الذي كنت ارجو ثوابه وهو حاصل الآن وقال أيضا ﴿ولولا نعمة ربّي﴾ عليّ بالعصمة والحفظ لكنت من المحضرين الآن في جهنم معك. ثم قال له ﴿أفما نحن بميتين إلاّ موتتنا الأولى﴾ والاستفهام تقريري فهو يقرره ليقول نعم[4] مخلدون نحن في الجنة وأنتم في النار. ثم قال إن هذا أي الخلود في دار النعيم ﴿لهو الفوز العظيم﴾ إذ كان نجاة من النار وهي أعظم مرهوب مخوف، ودخولا للجنة دار السلام والنعيم المقيم. قال تعالى ﴿لمثل هذا﴾ أي هذا الفوز العظيم بالنجاة من النار والخلود في دار الأبرار ﴿فليعمل العاملون﴾ أي فليواصلوا عملهم وليخلصوا فيه لله ربّ العالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضا، والعرض التلفازي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.

٢- التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره.

٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقليّاً.

٤- لا موت في الآخرة[5] وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.

٤- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.

---

(١) أورد البخاري ايرادات لا حاجة إليها منها قيل القرين هو من الشياطين وقرىء من المصدقين بتشديد الصاد والدال من التصدق بالمال، وجعل أنتم مطلعون انه من قول الله تعالى أو قول ملك. وما في التفسير هو الصواب ولا داعي لإيراد ما بخلافه إذ لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر.

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه يقال تعبت حتى انقطع سوائي أي وسطي وقال بعض العلماء، لولا أن الله عرفه اياه لما عرفه إذ تغير حبره وسبره أي اللون والهيئة.

(٣) إن كدت إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير ثان محذوف واللام في لتردين هي الدالة على أن إن ليست نافية ولذا تُسمى باللام الفارقة.

(٤) وجائز أن يكون هذا القول موجهاً إلى أصحاب الأرائك أهل النعيم بعد أن فرغ المؤمن من الحديث مع قرينه في سواء الجحيم قال لرفاقه في النعيم مقرراً أفما نحن بميتين .. الآية.
والسياق يساعد على جواز هذا.

(٥) قيل لأحد الحكماء: ما شر من الموت؟ قال الذي يتمنى فيه الموت وقال الشعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكون لاموت في الآخرة صح فيه الحديث إذ يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار وينادي مناد يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت.

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

أذلك خير نزلا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نُزلاً وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره.

أم شجرة الزقوم : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعما ومرارة.

إنا جعلناها فتنة للظالمين : أي امتحانا واختبارا لهم في الدنيا وعذابا لهم في الآخرة.

تخرج في أصل الجحيم : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتها.

طلعها كأنه رؤوس الشياطين : أي ما يطلع من ثمرها أولاً كالحيات القبيحة المنظر.

إن لهم عليها لشوباً من حميم : أي بعد أكلها يسقون ماء حميما فذلك الشوب أي الخلط.

إنهم الفوا آباءهم : أي وجدوا آباءهم.

فهم على اثارهم يهرعون : أي يسرعون مندفعين إلى اتباعهم بدون فكر ولا رويّة.

ولقد أرسلنا فيهم منذرين : أي رسلا منذرين لهم من العذاب.

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين : إنها كانت عذاباً أليما لإصرارهم على الكفر.

إلا عباد الله المخلصين : فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما أعده لأهل الإيمان به وطاعته وطاعة رسوله من النعيم المقيم في الجنة دار الأبرار قال أذلك[1] المذكور من النعيم في الجنة خير نزلا والنزل ما يُعدُّ[2] من قرى للضيف النازل وغيره أم شجرة الزقوم ، أي ثمرها وهو ثمر سمج مرّ قبيح المنظر. ثم أخبر تعالى أنه جعلها فتنة للظالمين من كفار قريش إذ قالوا لما سمعوا بها كيف تنبت الشجرة في النار والنار تحرق الشجر، فكذبوا بها فكان ذلك فتنة لهم . ثم وصفها تعالى بقوله ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ أي في قعرها وتمتد فروعها في دركات النار. وقوله طلعها أي ما يطلع من ثمرها في قبح منظره ﴿كأنه رؤوس[3] الشياطين﴾ لأنّ العرب تضرب المثل بالشيطان في القبح كما أن هناك حيات يسمونها بالشيطان قبيحة المنظر وقوله فإنهم أي الظلمة المشركين لآكلون منها أي من شجرة[4] الزقوم لشدة جوعهم فمالئون منها البطون أي بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾ وذلك أنهم لما يأكلون يعطشون فيسقون من حميم فذلك الشوب من الحميم إذ الشوب الخلط والمزج يُقال شاب اللبن بالماء أي خلطه به وقوله ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ أي مردهم إلى الجحيم بعدما يأكلون ويشربون في مجالس خاصة بالأكل والشرب يردون إلى نار الجحيم .

وقوله تعالى ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى والرشاد ﴿فهم على آثارهم يهرعون[5]﴾ أي يهرولون مسرعين وراءهم يتبعونهم في الشرك والكفر والضلال وقوله تعالى ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ أي فليس هؤلاء أول من ضل ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي في أولئك الضالين من الأقوام السالفين منذرين أي رسلا ينذرونهم فلم يؤمنوا فأهلكناهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إنها كانت هلاكاً ودماراً للكافرين. وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين[6]﴾ استثناء منه تعالى لعباده المؤمنين الصالحين وهم الذين استخلصهم لعبادته بذكره وشكره فآمنوا وأطاعوا فإنه تعالى نجاهم وأهلك أعداءهم الكافرين المكذبين وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بما لا مزيد عليه .

---

(١) أذلك خير: مبتدأ وخبر ونزلا تمييز، والمعنى أنعيم الجنة خير نزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً؟

(٢) قرى الضيف هو ما يُعدّ له من طعام وشراب وفراش ويسمى النزل بضم النون والزاي ويجوز تسكين الزاي .

(٣) مما تعارف عليه العرب أنهم يصورون كل قبيح (بصورة الشياطين) قال امرؤ القيس :

أيقتلوني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوالي

انظر كيف صور سهامه المحددة بصوره أنياب الأغوال ولا يوجد اغوال في الواقع وإنما مجرد تصور وتقدير لا غير.

(٤) هذا الطعام والشراب مقابل ما لأهل الجنة من رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم .

(٥) الإهراع الإسراع من شخص يستحثه بشيء على الإسراع والهرولة .

(٦) الاستثناء متصل لأن المخلصين كانوا من جملة المنذرين فصدقوا المنذرين واتبعوهم وذلك باستخلاص الله تعالى لهم لعبادته والدعوة إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب.

٢ـ تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة.

٣ـ التنديد بالاتباع في الضلال للآباء والأجداد وأهل البلاد.

٤ـ إهلاك الله تعالى للظالمين وانجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد نادانا نوح : أي قال إني مغلوب فانتصر «من سورة القمر».

فلنعم المجيبون : أي له إذ نجيناه وأهلكنا الكافرين من قومه.

من الكرب العظيم : أي عذاب الغرق بالطوفان.

وجعلنا ذريّته هم الباقين : إذ عامة الناس كانوا من ذريّته سام، وحام ويافث.

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه ثناء حسنا عند سائر الأمم والشعوب.

سلام على نوح في العالمين : أي سلام منّا على نوح في العالمين أي في الناس أجمعين.

إنا كذلك نجزي المحسنين : أي كما جزينا نوحاً بالذكر الحسن والسلام في العالمين نجزي المحسنين.

ثم أغرقنا الآخرين : أي كفار قومه المشركين بعد إنجاء المؤمنين في السفينة.

معنى الآيات:

على إثر ذكره تعالى إهلاك المنذرين وإنجائه المؤمنين من عباده المخلصين ذكر قصة تاريخية لذلك وهي نوح وقومه حيث أنذر نوح قومه ولما جاء العذاب أنجى الله عباده المخلصين وأهلك المكذبين المنذرين فقال تعالى في ذكر هذه القصة الموجزة ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعانا لنصرته من قومه ﴿ فقال رب انصرني بما كذبون ﴾ ﴿وقال إني مغلوب فانتصر﴾ ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن له ﴿ونجيناه وأهله﴾ باستثناء امرأته وولده كنعان ﴿من الكرب العظيم﴾ وهو عذاب الغرق. وقوله ﴿وجعلنا ذريّته هم الباقين﴾ إلى يوم القيامة وهذا جزاء له على صبره في دعوته وإخلاصه وصدقه فيها إذ كل الناس اليوم من أولاده الثلاثة وهم[1] سام وهو أبو العرب والروم وفارس، وحام وهو أبو السودان ويافث وهو أبو الترك والخزر وهم التتار ضيقوا العيون ولهذا سموا الخزر من خزر العين وهو ضيقها وصغرها، ويأجوج ومأجوج، وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾[2] أي في أجيال البشرية التي أتت بعده وهو الذكر الحسن والثناء العطر المعبر عنه بقوله تعالى ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا نوحا لإيمانه وصبره وتقواه وصدقه ونصحه وإخلاصه نجزي المحسنين في إيمانهم وتقواهم وهذه بشرى للمؤمنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ ثناء عليه وبيان لعلة الإكرام والإنعام عليه. ودعوة إلى الإيمان بالترغيب فيه، وقوله ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أغرقناهم بالطوفان بكفرهم وشركهم وتكذيبهم بعد أن أنجينا المؤمنين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان إكرام الله لأوليائه، وإهانته لإعدائه.

٢- إجابة دعاء الصالحين لاسيما عندما يظلمون.

٣- فضل الإحسان وحسن عاقبة أهله.

٤- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة.

٥- قول سلام على نوح في العالمين إذا قاله المؤمن حين يمسي[3] أو يصبح يحفظه الله تعالى من

---

(١) عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة: سام ويافث وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاث ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم: وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يُذكر بخير، قال مجاهد لسان صدق في الأنبياء.

(٣) وقال سعيد بن المسيب وبلغني انه من قال حين يمسي «سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» ذكره أبو عمرو ابن عبدالبر في التمهيد ونقله عنه القرطبي.

لسعة العقرب . وأصح منه قول:أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق[1] لصحة الحديث في ذلك .

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

وإن من شيعته لإبراهيم : وإن من أشياع نوح على ملته ومنهاجه إبراهيم الخليل عليهما السلام .

إذ جاء ربه بقلب سليم : أي أتى ربّه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب سبحانه وتعالى .

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ : أي حين قال لأبيه وقومه المشركين أي شيء تعبدون؟

أئفكا آلهة دون الله تريدون؟ : أي كذبا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله؟

فما ظنكم برب العالمين : أي شيء هو؟ أترون أنه لايسخط عليكم ولا يعاقبكم فتعبدون

---

(١) روى مالك في الموطأ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: من نزل منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل.

غيره وهو ربكم ورب العالمين.

فنظر نظرة في النجوم	: أي إيهاماً لهم إذ كانوا يؤلهون النجوم.
فقال إني سقيم	: أي عليل أي ذو سقم وهو المرض والعلة.
فتولوا عنه مدبرين	: أي رجعوا إلى ماهم فيه وتركوه قابلين عذره.
فراغ إلى آلهتهم	: أي مال إليها خفية.
فراغ عليهم ضربا باليمين	: أي بقوة يمينه فكسرها بفأس وحطمها.
فأقبلوا إليه يزفُّون	: أي يمشون بقوة وسرعة.
ما تنحتون	: من الحجارة والأخشاب والمعادن كالذهب والفضة.
وما تعملون	: أي وخلق ما تعبدون من أصنام وكواكب.
فقالوا ابنوا له بنيانا	: واملأوه حطبا وأضرموا فيه النار فإذا التهب ألقوه فيه.
فجعلناهم الأسفلين	: أي المقهورين الخائبين في كيدهم إذ نجّى الله ابراهيم.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى قصة نوح مقرراً بها نصرة أوليائه وخذلان أعدائه ذكر قصة أخرى هي قصة ابراهيم وهي أكبر موعظة لكفار قريش لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدّعون أنهم على ملته وملة ولده اسماعيل فلذا أطال الحديث فيها فقال سبحانه وتعالى ﴿وإن من شيعته[1] لإبراهيم﴾ أي وإن من أشياع نوح الذين هم على ملته ومنهجه ابراهيم خليل الرحمن ﴿إذ جاء ربّه بقلب سليم﴾ أي إذ أتى[2] ربّه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الربّ تعالى في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، منكراً عليهم عبادة الأصنام فلو كان في قلبه أدنى التفاتة إلى غيره طمعا أو خوفا ما أمكنه أن يقول الذي قال بل كان في تلك الساعة سليم القلب ليس فيه نظر لغير الله تعالى وقوله ﴿أئفكا[3] آلهة دون الله تريدون﴾ أي أكذباً هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله حيث جعلتموها بكذبكم بألسنتكم آلهة وهي أحجار وأصنام. وقوله ﴿فما ظنكم بربّ العالمين﴾ وقد عبدتم الكذب دونه إذ آلهتكم ما هي إلا كذب بحت. أترون أن الله لا يسخط عليكم ولا

---

(١) وقيل هاء الضمير عائدة إلى محمد ﷺ ليكون المعنى وإن من شيعة محمد إبراهيم وهو حقاً من شيعته ولكن السياق يأباه بل المراد نوح عليه السلام.

(٢) قيل في مجيئه ربه بقلب سليم إما أن يكون عند دعائه إلى توحيده، أو عند إلقائه في النار.

(٣) الاستفهام إنكاري إذ هو أنكر على قومه عبادة وتأليه غير الله تعالى، وقوله فما ظنكم برب العالمين استفهام متفرع عما قبله وهما للإنكار الأول والثاني. فالأول انكر عليهم اتخاذهم آلهة دونه تعالى والثاني انكر عليهم سوء ظنهم بالله حتى عبدوا آلهة غيره.

يعاقبكم؟ وقوله ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ هنا كلام محذوف دل عليه المقام وهو أن أهل البلد قد عزموا على الخروج إلى عيد لهم يقضونه خارج البلد، فعرضوا عليه الخروج معهم فاعتذر بقوله إني سقيم أي ذو سقم بعد أن نظر في النجوم موهماً لهم أنه رأى ما دله على أنه سيصاب بسقم وهو مرض الطاعون وكان القوم منجمين ينظرون إلى النجوم فيدعون أنهم يعرفون بذلك الخير والشرك الذي ينزل إلى الأرض بواسطة الكواكب فأوهمهم بذلك فتركوه خوفا من عدوى الطاعون، أو تركوه قبولا لعذره[1] هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ ﴿فتولوا عنه﴾ أي لذلك ورجعوا إلى أمورهم وما هم عازمون عليه من الخروج إلى العيد خارج البلد وهـو معنى فتولوا عنه مدبرين وهنا وقد خلا له المكان الذي فيه الآلهة من الحراس والعباد والزوار للآلهة في بهوها الخاص فنفذ ما حلف على تنفيذه في مناظرة كانت بينه وبين بعضهم إذ قال ﴿تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ وبدأ المهمة فقال للآلهة وأنواع الأطعمة أمامها تلك الأطعمة من الحلويات وغيرها التي يتركها المشركون لتباركها الآلهة ثم يأكلونها رجاء بركتها ﴿ألا تأكلون﴾ عارضا عليها الأكل سخريّة بها فلم تجبه ولم تأكل فقال لها ﴿مالكم لا تنطقون﴾ ثم انهال عليها ضرباً بفأس بيده اليمني فكسرها وجعلها جذاذاً أي قطعاً متناثرة. فلما رجعوا من عيدهم مساء وجاءوا بَهْو الآلهة ليأخذوا الأطعمة وجدوا الآلهة مكسرة. ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ أي مسرعين بأن طلبوا من رجالهم إحضاره على الفور فأحضروه وأخذوا يحاكمونه فقال في دفاعه ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ أي بأيديكم من أصنام بعضها من حجر وبعض من خشب ومن فضة ومن ذهب أيضا، ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من كل عمل من أعمالكم فلم لا تعبدونه، وتعبدون أصناما لا تنفع ولا تضر، ولما غلبهم في الحجة وانهزموا أمامه أصدروا أمرهم بإحراقه بالنار فقالوا ﴿ابنوا له بنيانا﴾ أي فرنا عظيما واملأوه حطبا وأضرموا فيه النار حتى إذا التهب فألقوه في جحيمه وهو معنى قوله تعالى ﴿فقالوا ابنوه له بنيانا فألقوه في الجحيم﴾ وقوله تعالى ﴿فأرادوا﴾ أي بإبراهيم ﴿كيداً﴾ أي شرا وذلك بعزمهم على إحراقه وتنفيذهم ما عزموا عليه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ أي المتهورين المغلوبين إذ قال تعالى للنار ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت فخرج منهـا إبـراهيم ولم يُحـرق سوى كتافيه الذي في يديه ورجليه وخيب الله سعي المشركين وأذلهم أمام إبراهيم وأخزاهم

---

(١) شاهد هذا حديث الصحيح: لم يكذب ابراهيم إلا ثلاثاً اثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال هي أختي الحديث.

وهو معنى قوله تعالى ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾[1] وقد جمع الله تعالى لهم بين الخسران في كل ما أملوه من عملهم والذل الذي ما فارقهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أصل الدين واحد فالإسلام هو دين الله الذي تعبد به آدم فمن بعده إلى محمد ﷺ.

٢ـ كمال ابراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال [هل لك حاجة يا إبراهيم فقال أما إليك فلا].

٣ـ من أقبح الكذب ادعاء أن غير الله يعبد مع الله تبركا به أو طلبا لشفاعته.

٤ـ وجوب تغيير المنكر عند القدرة عليه.

٥ـ بيان ابتلاء ابراهيم وأنه أُلقي في النار فصبر، ولذا أكرمه ربّه بما سيأتي في السياق بيانه.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ

---

(١) هذه الجملة من سورة الأنبياء ذكرت هنا شاهداً مبيناً لغاية كيدهم وهو خسرانهم فيما دبروا وفعلوا.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ .

شرح الكلمات:

إني ذاهب إلى ربي سيهدين : أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبده فيه فلا أمنع فيه من عبادته.

ربّ هب لي من الصالحين : أي ولداً من الصالحين.

بغلام حليم : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له.

فلما بلغ معه السعي : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر فيه على العمل كسبع سنين فأكثر.

فانظر ماذا ترى : أي من الرأي الرشد.

من الصابرين : أي على الذبح الذي أُمرت به.

فلما أسلما : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد وانقادا له.

وتله للجبين : أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض ولكل انسان جبينان أيمن وأيسر والجبهة بينهما.

قد صدقت الرؤيا : أي بما عزمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلى منى وصرعه على الأرض وإمرار السكين على حلقه.

إن هذا لهو البلاء المبين : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم.

وفديناه بذبح عظيم : أي كبش كبير.

وتركنا عليه في الآخرين أي أبقينا عليه ثناءً وذكراً حسنا فيمن جاء بعده من الناس.

وباركنا عليه وعلى اسحق : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية اسحق حتى إن عامة الأنبياء من ذريتهما.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في قصة ابراهيم الخليل إنه بعد أن أُلقي به في النار وخرج بحمد الله سالماً

قرر الهجرة وترك البلاد، وقال ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أي إني ذاهب إلى حيث أذن لي ربي بالهجرة إليه حيث أتمكن من عبادته فذهب إلى بلاد الشام ونزل أولا بحران من الشام، وقوله سيهدين أي يثبتني بدوام هدايته لي. ودعا ربّه قائلا ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ أي ارزقني أولاداً صالحين. فاستجاب الله تعالى له وذلك انه سافر في أرض القدس مع زوجته سارة وانتهى إلى مصر، وحدث أن وهب طاغية مصر جارية لسارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لزوجها ابراهيم فتسراها فولدت له غلاما هو اسماعيل وهو استجابة الله تعالى لابراهيم في دعائه عند هجرته ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ وهو قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾. وقد أخذ سارة ما يأخذ النساء من الغيرة لما رأت جارية ابراهيم أنجبت له اسماعيل فأمر الله ابراهيم بأن يأخذها وطفلها إلى مكة إبعادا لها عن سارة ليقل تألمها. وهناك بمكة رأى ابراهيم رؤيته ورؤيا الأنبياء وحي وقال لاسماعيل ما أخبر تعالى به في قوله، ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾ كابن سبع سنين[1] فأكثر بمعنى أصبح قادرا على العمل معه ﴿قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾ أي استشاره ليرى رأيه في القبول أو الرفض فأجاب اسماعيل قائلا ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما يأمرك به ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ وفعلا خرج به ابراهيم من حول البيت إلى منى[2] وانتهى إلى مكان تجاوز به مكان الجمرات الثلاث وتله للجبين أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض وأخذ المدية ووضعها على رقبته والتفت لأمر ما وإذا بكبش أملح والهاتف يقول اترك ذاك وخذ هذا فترك الولد وذبح الكبش وكانت آية. وهو قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾، وقوله تعالى ﴿وناديناه أن يا إبارهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار البيّن وبذلك تأهل للخلة وأصبح خليل الرحمن، وقوله تعالى ﴿وفديناه﴾ أي اسماعيل ﴿بذبح عظيم﴾[3] أي بكبش عظيم. وهو الذي

---

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بلغ الثالثة عشرة من عمره وفي هذا أقوال ولهذا في التفسير قلنا سبع سنين فأكثر إذ بداية السعي من السابعة والبلوغ ينتهي إلى الخامسة عشر.

(٢) قيل إن إبراهيم لما رأى الرؤيا كانت ليلة يوم التروية وهو ثامن الحجة فسمى اليوم يوم التروية إذ تروّى فيه ويوم التاسع عرف أن الرؤيا حق لذا سمّي يوم عرفة ويوم العاشر خرج بإسماعيل ليذبحه فسمي يوم النحر لذلك والله أعلم.

(٣) اختلف في أيهما الذبيح أهو اسماعيل أم إسحق والراجح انه اسماعيل لأن الذبح كان في مكة ولم يكن في الشام لأن إسماعيل عاش بمكة ولم يعش بالشام ولأن هاجر كانت في مكة وسارة كانت بالشام وبلغ الخلاف حتى قال بعضهم نفوض فكان التفويض مذهباً ثالثاً والذي أثار هذا الخلاف هم أهل الكتاب يريدون سلب هذا الفضل عن النبي محمد ﷺ وفي الأبيات الأتية إشارة إلى ذلك:

إن الذبيح هُديتَ إسماعيل ... نطق الكتابُ بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا ... وأتى به التفسير والتأويل
إن كنت أمّته فلا تنكر له ... شرفا به قد خصه التفضيل

ذبحه ابراهيم وترك اسماعيل[1] وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي أبقينا عليه ثناء عاطرا وذكرا حسنا فيمن جاء بعده من الأمم والشعوب. ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي سلام من الله على ابراهيم كذلك أي كذلك الجزاء الذي جزى به الله تعالى ابراهيم على إيمانه وهجرته وصبره وطاعته يجزي المحسنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ وفي هذا ثناء عاطر على المؤمنين، وقوله ﴿وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين﴾ وهذا يوم جاءه الضيف من الملائكة وهم في طريقهم إلى المؤتفكات قرى قوم لوط، وذلك بعد أن بلغ من العمر عتيا وامرأته سارة كذلك إذ قالت ساعة البشرى ﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ وعجبا لمن يقول إن الذبيح اسحق وليس اسماعيل، وقوله تعالى ﴿وباركنا عليه وعلى اسحق﴾ أي وباركنا عليه بتكثير ذريّته وذريّة اسحاق حتى إن عامة الأنبياء من بعدهما من ذريّتهما. وقوله تعالى ﴿ومن ذريّتهما﴾ أي ابراهيم واسحق ﴿محسن﴾ أي مؤمن صالح ﴿وظالم لنفسه﴾ بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضل الهجرة في سبيل الله وأن أول هجرة كانت في الأرض هي هجرة ابراهيم من العراق إلى الشام.

٢ـ بيان أن الذبيح هو اسماعيل وليس هو اسحق كما يقول البعض وكما يدعي اليهود.

٣ـ وجوب بر الوالدين وطاعتهما في المعروف.

٤ـ فضل ابراهيم وعلو مقامه وكرامته عند ربّه.

٥ـ فضل الإحسان وجزاء المحسنين.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا

(١) ضعّف القرطبي رواية الرجل الذي نادى رسول الله ﷺ قائلا يا ابن الذبيحين فضحك ﷺ فلا أرى وجهاً صحيحاً لتضعيفها إذ صح أن الذبيح الأول هو اسماعيل والثاني عبدالله الوالد إذ كل منهما أريد ذبحه والله فداه ولله الحمد والمنة.

عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد مننا على موسى وهرون	: أي بالنبوة والرسالة .
ونجيناهما وقومهما	: أي بني اسرائيل .
من الكرب العظيم	: أي استعباد فرعون إياهم واضطهاده لهم
ونصرناهم	: على فرعون وجنوده .
الكتاب المستبين	: أي التوراة الموضحة الأحكام والشرائع .
وهديناهما الصراط المستقيم	: أي الإسلام لله ربِّ العالمين .
وتركنا عليهما في الآخرين	: أي أبقينا عليهما في الآخرين ثناء حسنا .
سلام على موسى وهرون	: أي سلام منا على موسى وهرون .
إنا كذلك	: أي كما جزيناهما نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين .
إنهما من عبادنا المؤمنين	: أي جزيناهما بما جزيناهما به لإيمانهما .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله وإنعامه على من يشاء من عباده فبعد ذكر إنعامه على ابراهيم وولده إسحق ذكر من ذريّتهما المحسنين موسى وهرون فقال تعالى ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ أي بالنبوة والرسالة،[1] ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ أي بني اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ الذي هو استعباد فرعون والأقباط لهم واضطهادهم زمنا طويلا ﴿ونصرناهم﴾ أي على فرعون وملائه[2] ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ ﴿وآتيناهما﴾[3] أي اعطيناهما ﴿الكتاب المستبين﴾ وهو التوراة الواضحة

---

(١) كانت النبوة والرسالة منة لأن موسى لم يكتسبها بعمل وهارون اعطيها بدعوة أخيه موسى فلم يكتسبها بأي جهد فهي إذاً منة محضة .

(٢) إذ خرج فرعون في جيش عرمرم قوامه مائة ألف من الفرسان فقط ثم نجى الله تعالى بني اسرائيل وأغرق فرعون وجنده اجمعين فكان نصراً عظيماً لموسى على فرعون وملائه اجمعين .

(٣) موسى أوتي الكتاب اصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى .

الأحكام البيّن الشرائع لا خفاء فيها ولا غموض. ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ وهو الدين الصحيح الذي هو الإسلام دين الله الذي بعث به كافة رسله ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي وأبقينا عليهما الذكر الحسن والثناء العطر فيمن بعدهما ﴿سلام علىٰ موسىٰ وهٰرون﴾ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾[1] أي كما جزيناهما لإحسانهما نجزي المحسنين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ فيه بيان لعلة ما وهبهما من الإنعام والإفضال وهو الإيمان المقتضي للإسلام والإحسان.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوليه موسى وهرون عليهما السلام.

٢- بيان إنعام الله تعالى على بني اسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.

٣- بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصاً بأمة الإسلام.

٤- بيان فضل الإحسان والإيمان.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

---

(١) «إنا كذلك نجزي المحسنين» جملة تذييلة وإن كانت تحمل معنى التعليل والتوكيد، والمحسنون مَنْ أحسنوا طاعة الله تعالى فأطاعوه بما يجب من أفعال وتروك على نحو ما شرعه لهم وجملة أنهما من عبادنا المؤمنين تعليلية للإنعام السابق.

شرح الكلمات:

وإن إلياس لمن المرسلين : إلياس هو أحد أنبياء بني اسرائيل من سبط هرون أرسله الله تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام.

أتدعون بعلا : أي صنما يسمى بعلا.

وتذرون أحسن الخالقين : أي وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين.

فإنهم لمحضرون : أي في النار.

إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم نجوا من النار.

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرا حسنا.

سلام على إل ياسين : أي سلام منا على إلياس.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إنعام الله تعالى على بعض أنبيائه ورسله فقال تعالى ﴿وإنّ إلياس لمن المرسلين﴾[1] وهو من سبط هرون عليه السلام أحد أنبياء بني اسرائيل أخبر تعالى أنه من المرسلين[2] أي اذكر إذ قال لقومه وهم أهل مدينة بعلبك وما حولها ﴿ألا تتقون﴾ أي[3] الله تعالى بعبادته وترك عبادة غيره، وهذا دليل على أنه رسول. وقوله عليه السلام ﴿أتدعون بعلا﴾[4] هذا إنكار منه لهم على عبادة صنم كبير لهم يسمونه بعلا، أي كيف تعبدون صنما بدعائه والعكوف عليه والذبح والنذر له، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين، الله ربكم[5] ورب آبائكم الأولين. قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي في أنه لا إله إلا الله ﴿فماتوا وهم كافرون﴾ فاحضروا في جهنم فهم من المحضرين فيها، وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي الموحدين فإنهم ليسوا في النار بل هم في الجنة. وقوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي وأبقينا له ذكرا حسنا في الذين جاءوا من بعده من الناس. وقوله تعالى ﴿سلام﴾ أي منّا ﴿على إل ياسين﴾ ﴿إنا كذلك﴾ أي كما جزينا إلياس لإحسانه في طاعتنا ﴿نجزي المحسنين﴾ وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أي

---

(١) قدم تعالى ذكر نوح وابراهيم وموسى وكلهم رسل أصحاب شرائع وعقب عليهم بذكر ثلاثة آخرين ليست لهم شرائع مستقلة وهم الياس ولوط ويونس ويوسف واسم الياس في كتب بني اسرائيل «ايليا».

(٢) عد في جملة المرسلين لأن الله تعالى أمره بتبليغ ملوك بني اسرائيل ان الله غضب عليهم من أجل عبادة الأصنام. فإطلاق اسم الرسول عليه كإطلاقه على اسم رُسُل عيسى عليه السلام في سورة يس.

(٣) ألا تتقون الهمزة للاستفهام الانكاري ينكر عليهم عدم تقواهم لله، ولا نافية وحذف مفعول يتقون للعلم به. أي الا تتقون الله تعالى أو عذابه ونقمه.

(٤) قرأ نافع آل ياسين كآل محمد، وقرأ حفص إل بكسر الهمزة وسكون اللام. واختلف هل إل ياسين معناه إلياس، أو معناه ذوو ياسين كآل بني فلان، والراجح أن المراد بآل ياسين انصاره. نحو قول النبي ﷺ آل محمد كل تقي

(٥) قرأ نافع والأكثرون الله بالرفع على الابتداء، وقرأ حفص الله بالنصب على عطف البيان على أحسن الخالقين.

استحق تكريمنا والجزاء الحسن لأنه من عبادنا المؤمنين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير التوحيد، والتنديد بالشرك.

٢ـ هلاك المشركين[1] ونجاة الموحدين يوم القيامة.

٣ـ فضل الإحسان ومجازاة أهله بحسن الجزاء.

٤ـ فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال.

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

شرح الكلمات:

وإن لوطا لمن المرسلين : أي وإن لوطا وهو ابن هاران أخي ابراهيم الخليل لمن جملة الرسل أيضا.

إذ نجيناه وأهله أجمعين : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطا إذ نجيناه وأهله اجمعين من عذاب مطر السوء.

إلا عجوزا في الغابرين : أي إلا امرأته الكافرة هلكت في الغابرين أي الباقين في العذاب.

ثم دمرنا الآخرين : أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطاً والمؤمنين معه.

وإنكم لتمرون عليهم : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل والنهار.

أفلا تعقلون : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعظون فتؤمنوا وتوحدوا.

---

(١) سياق قصة الياس فيها تذكير للرسول ﷺ ولقريش ايضاً إذ على الرسول أن يبلغ وليس عليه أن يأتي قومه بالعذاب ولو طالب به المدعوون فإن الياس لم يعذب الله قومه في الدنيا وترك عذابهم إلى الآخرة.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر إنعام الله على من اصطفى من عباده فقال تعالى ﴿وإن لوطاً﴾ وهو ابن هاران أخي إبراهيم[1] عليهما السلام ﴿لمن المرسلين﴾ أي لمن جُملة رسلنا ﴿إذ نجيناه﴾ أي اذكر إنعامنا عليه إذ نجيناه من العذاب وأهله اجمعين ﴿إلا عجوزا في الغابرين﴾ وهي امرأته إذ كانت مع الكافرين فبقيت معهم فهلكت بهلاكهم. وقوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي ممن عدا لوطاً ومن آمن به من قومه. وقوله ﴿وإنكم لتمرّون[2] عليهم[3] مصبحين وبالليل﴾ هذا خطاب لأهل مكة المشركين إذ كانوا يسافرون للتجارة إلى الشام وفلسطين ويمرون بالبحر الميت وهو مكان الهالكين من قوم لوط أصبح بعد الخسف بحراً ميتاً لا حياة فيه البتة. وقوله ﴿أفلا تعقلون[4]﴾ توبيخ لهم وتقريع على عدم التفكر والتدبر إذ لو فكروا لعلموا أن الله تعالى أهلكهم لتكذيبهم برسولهم وكفرهم بما جاءهم به من الهدى والدين الحق، وقد كذب هؤلاء فأي مانع يمنع من وقوع عذاب بهم كما وقع بقوم لوط من قبلهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير نبوة لوط ورسالته.

٢- بيان العبرة في إنجاء لوط والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين المكذبين به.

٣- بيان أن لا شفاعة تنفع[5] ولو كان الشافع أقرب قريب إلا بعد أن يأذن الله للشافع وبعد رضائه[6] عن المشفوع له.

٤- وجوب التفكر والتعقل في الأحداث الكونية للاهتداء بذلك إلى معرفة سنن الله تعالى في الكون والحياة.

---

(١) يقال مرّ به ومر عليه بمعنى إلا أن التمكن والمباشرة بالممرور به بعلى أكثر منه بالباء ومصبحين حال منصوب على الحالية بالياء والنون لأنه جمع سلامة للمذكر.

(٢) جيء بالمضارع في لتمرون للايقاظ والاعتبار لا في حقيقة الإخبار.

(٣) خرج لوط مع عمه ابراهيم عليه السلام بعد حادثة القاء ابراهيم في النار ونجاته منها فآمن له لوط وخرج معه مهاجراً فأرسله الله تعالى إلى أصحاب المؤتفكات وهي قرى سدوم وعمورة.

(٤) الاستفهام للإنكار والتقريع على جهالتهم وغفلتهم وعدم استعمال عقولهم للاهتداء.

(٥) اخذ هذا الحكم من كون لوط عليه السلام لم يشفع لزوجه في النجاة من الهلاك الذي أصاب المفسدين وذلك لكفرها وفسادها.

(٦) الرضاء: الاسم من رضي، يرضى، رضىً فهو راضٍ.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

شرح الكلمات:

وإن يونس لمن المرسلين : أي وإن يونس بن متى الملقب بذي النون لمن جُملة المرسلين.

إذ أبق إلى الفلك المشحون : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب.

فساهم فكان من المدحضين : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين.

فالتقمه الحوت وهو مليم : أي ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه.

للبث في بطنه إلى يوم يبعثون : أي لكان بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة.

فنبذناه بالعراء : أي فألقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل.

وهو سقيم : أي عليل كالفرخ المنتوف الريش.

شجرة من يقطين : أي الدباء: القرع.

إلى مائة ألف أو يزيدون : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف.

فآمنوا فمتعناهم إلى حين : أي فآمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلى آجالهم.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر من أنعم الله تعالى عليهم بما شاء من وجوه الإنعام. فقال عز وجل عطفا عما سبق ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ أي وإن عبدنا يونس بن متى ذا النون لمن جُملة من مننّا عليهم بالنبوّة والرسالة. ﴿إذ أبق﴾ أي في الوقت الذي هرب من قومه لما لم يؤمنوا به وواعدهم العذاب وتأخر عنهم فاستعجل فهرب من المدينة وهي نينوي[1] من أرض الموصل بالعراق، فوصل الميناء فوجد سفينة مبحرة فركب وكانت حمولتها أكبر من طاقتها فوقفت في عرض البحر لا تتقدم ولا تتأخر فرأى رُبّان السفينة أنه لابد من تقليل الشحنة وإلاّ غرق الجميع، وشح كل راكب بنفسه فاقترعوا[2] فكان يونس من المدحضين أي المغلوبين في القرعة فرموه في البحر فالتقمه حوته، وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه من فراره من دعوة قومه إلى الله لما ضاق صدره ولم يطق البقاء معهم. وهـذا معنى قولـه تعالى ﴿إذ أبق[3] إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين[4] فالتقمه الحوت وهو مليم﴾[5]. وقوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه﴾ أي بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم القيامة بأن يصير بطن الحوت قبراً له أي فلولا أن يونس كان من المسبحين أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء لما كان يُلهم قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ولما كان يستجاب له ولذا قال رسول الله ﷺ «تعرّف على الله في الـرخـاء يعرفك في الشدة»، فإن صوت يونس سمع تحت العرش فعرفه بعض الملائكة فذكروا ذلك لربهم تعالى فأخبرهم أنه عبده يونس، وأنه كان من المكثرين الصلاة والـذكـر والـدعاء قبل البلاء فلذا استجاب الله تعالى ونجاه من الغم، وهو معنى قوله تعالى ﴿فنبذناه بالعراء﴾ أي بوجه الأرض العارية من الشجر وكل ظل وهو كالفرخ المنتوف الريش نضج لحمـه من حرارة جوف الحـوت وأنبت تعـالى عليه شجرة من يقطين أي فرع تظلله بأوراقها

---

(١) نينوى كانت مدينة عظيمة من مدن الآشوريين وكان بها مائة ألف أسير من بني اسرائيل أسرهم الآشوريون فارسل الله تعالى إليهم يونس من فلسطين.

(٢) اقترعوا هو معنى قوله تعالى فساهم والمساهمة مشتقة من السهام التي واحدها سهم لأنهم كانوا يقترعون بالسهام وهي أعواد النبال وتسمى الأزلام أيضاً والفاء في فساهم للتفريع.

(٣) أبق يأبق إباقاً العبد إذا فرّ من مالكه.

(٤) الاقتراع مشروع فقد فعله رسول الله ﷺ في ثلاثة مواطن منها القرعة بين نسائه إذا أراد السفر بواحدة منهن وشرع الاقتراع فيما إذا تساوت الحقوق والمصالح لأجل دفع الضغائن كالاستهام على من يلي أمر كذا من خلافة أو أذان أو الصف الأول وما إلى ذلك من قسمة دار أو أرض.

(٥) المليم اسم فاعل من الآم يليم إذا فعل ما يلومه عليه الناس فهو جعلهم لائمين له بفعله فهو ألآمهم على نفسه.

الحريرية الناعمة والتي لا ينزل بساحتها الذباب، وسخر له أُروية «غزالة» فكانت تأتيه صباح مساء فتفشح عليه أي تفتح رجليها وتدني ضرعها منه فيرضع حتى يشبع إلى أن تماثل للشفاء وعاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين لتوبة أحدثوها عند ظهور امارات العذاب فتاب الله عليهم. وقوله تعالى ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾[1] أي أرسلناه إلى قومه وهم أهل نينوي وكان تعدادهم مائة ألف وزيادة كذا ألفا فآمنوا أي بالله ربّا وبالإسلام دينا وبيونس نبيا ورسولا وتابوا بترك الشرك والكفر فجزيناهم على إيمانهم وتوبتهم بأن كشفنا عنهم العذاب الذي أظلهم، ومتعناهم أي أبقينا عليهم يتمتعون بالحياة إلى نهاية آجالهم المحدودة لهم في كتاب المقادير

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير نبوة يونس ورسالته وضمن ذلك تقرير رسالة محمد ﷺ.

٢- مشروعية الركوب في السفن البحرية.

٣- مشروعية الاقتراع لفض النزاع في قسمة الأشياء ونحوها.

٤- فضل الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح[2] وعظيم نفعها عند الوقوع في البلاء.

٥- تقرير مبدأ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[3].

٦- بركة أكل اليقطين أي الدباء القرع إذ كان النبي ﷺ يأكلها ويلتقطها من حافة القصعة.

٧- فضل قوم يونس إذ آمنوا كلهم ولم تؤمن أمة بكاملها إلاّ هم.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

---

(١) أو بمعنى بل على قول الكوفيين واستشهدوا بقول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم   لم أحص عدتهم إلا بعدّاد

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية   لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(٢) روى أبو داود عنه ﷺ انه قال دعاء ذي النون في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين» لم يدع به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له.

(٣) بعض حديث صحيح رواه مسلم وغيره.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات:

فاستفتهم : أي استخبر كفار مكة توبيخا لهم وتقريعاً.

ولهم البنون : أي فيختصون بالأفضل الأشرف.

ليقولون ولد الله : أي لقولهم الملائكة بنات الله.

أصطفى البنات : أي اختار البنات على البنين.

أفلا تذكرون : أي إن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد.

أم لكم سلطان مبين : أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون.

فأتوا بكتابكم : أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم ذلك.

وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا : إذ قالوا الملائكة بنات الله.

ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون : أي في العذاب.

سبحان الله عما يصفون : أي تنزيها لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.

إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

معنى الآيات:

بعد تقرير البعث والتوحيد والنبوة في السياق السابق بالأدلة والحجج والبراهين القاطعة أراد تعالى إبطال فرية من أسوأ الفرى التي عرفتها ديار الجزيرة وهي قول[1] بعضهم إن الله تعالى قد أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وهم بنات الله، وهذا لا شك انه من إيحاء الشيطان لإغواء الإنسان

---

(١) قال القرطبي في بيان من قال هذه القولة القذرة الفاسدة الباطلة قال: ذلك جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبدالدار زعموا أن الملائكة بنات الله.

وإضلاله فقال تعالى لرسوله استفتهم أي استخبرهم موبخا لهم مقرّعا قائلا لهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾، أي أما تخجلون عندما تنسبون لكم الأسنى والأشرف وهو البنون، وتجعلون لله الآخس والأدنى وهو البنات وقوله تعالى ﴿أم[1] خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ أي حضروا يوم خلقنا الملائكة فعرفوا بذلك أنهم إناث، والجواب لا إنهم لم يشهدوا خلقهم إذاً فلم يكذبون وقوله تعالى ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ أي ألا إن هؤلاء المشركين الضالين من كذبهم الذي عاشوا عليه واعتادوه يقولون ولد الله وذلك بقولهم الملائكة بنات الله، وإنهم وربِّ العزة لكاذبون في قيلهم هذا الذي هو صورة لإفكهم الذي يعيشون عليه. وقوله تعالى ﴿أصطفى[2] البنات على البنين﴾ هذا توبيخ لهم وتقريع أصطفى أي هل الله اختار البنات على البنين فلذا جعلهم إناثا كما تزعمون. مالكم كيف[3] تحكمون هذا الحكم الباطل الفاسد. أفلا تذكرون فتذكروا أن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد أم لكم سلطان مبين أي ألكم حجة قوية تثبت دعواكم والحجة القوية تكون بوحي من الله في كتاب أنزله يخبر فيه بما تقولون إذاً ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه ما تدعون ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم.

ومن أين لكم الكتاب، وقد كفرتم بكتابكم الذي نزل لهدايتكم وهو القرآن الكريم. وهكذا أبطل الله هذه الفرية بأقوى الحجج. وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ أي بين الله تعالى ﴿وبين الجنة نسباً﴾[6] بقولهم أصهر الله تعالى إلى الجن فتزوج سروات الجن إذ سألهم أبو بكر: من أمهات الملائكة فقالوا سروات الجن وقوله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي في العذاب، فكيف يكون لهم نسب ويعذبهم الله بالنار. فالنسيب يكرم نسيبه لا يعذبه بالنار، وبذلك بطلت هذه الفرية الممقوتة، فنزه الله تعالى نفسه عن مثل هذه الترهات والأباطيل فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾. ﴿إلا[7] عباد الله المخلصين﴾ أي فإنهم لا يصفون ربهم بمثل هذه النقائص التي هي من صفات العباد العجزة المفتقرين إلى الزوجة والولد أما ربّ كل شيء ومالكه وخالقه فلا يقبل

---

(١) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والتأنيب.

(٢) أصطفى. الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقريع واصطفى بمعنى اختار البنات على البنين وقرأ الجمهور بهمزة القطع للاستفهام وقرأ بعض بهمزة الوصل دون همزة القطع إلا انها منوية.

(٣) مالكم ماسم استفهام عن ذات وهي مبتدأ ولكم خبر، والمعنى: أي شيء حصل لكم؟.

(٤) أفلا تذكرون قرأ نافع تذكرون بتشديد الدال والكاف معاً إذ الأصل تتذكرون فأدغمت إحدى التائين في الذال. وقرأ حفص تذكرون بتخفيف الذال لحذف التاء الثانية والاستفهام إنكاري.

(٥) النسب القرابة العمودية بالآباء والأمهات والأفقية كالإخوان والأعمام والمعنى ذوي النسب لله تعالى وهو نسب البنوة لزعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

(٦) المحضرون المجلوبون للحضور، والمراد المحضرون للعقاب والعذاب.

(٧) الاستثناء منقطع وجائز أن يكون من الحضور للعقاب فإن عباد الله لا يحضرون للعقاب ولا يعاقبون وجائز أن يكون منقطع من سبحان الله عما يصفون فإن عباد الله لا يصفون الله بالنقائص كما فى التفسير وهو أولى من الأول.

العقل أن ينسب إليه الصاحبة والولد. فلذا عباد الله الذين استخلصهم لمعرفته والإيمان به وعبادته لا يصفون ربهم جل جلاله بصفات المحدثين من خلق الله . ولا يكونون من المحضرين في النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ إبطال فرية بَني ملحان من العرب الذين زيّن لهم الشيطان فكرة الملائكة بنات الله، ووجود نسب بين الله تعالى وبين الجن.

٢ـ مشروعية دحض الباطل بأقوى الحجج وأصَحّ البراهين.

٣ـ الحجة الأقوى ما كانت من وحي الله في كتاب من كتبه التي أوحى بها إلى رسله.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

وما تعبدون : أي من الأصنام.

إلاّ من هو صال الجحيم : أي مقدر له عذاب النار.

إلا له مقام معلوم : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه.

وإنا لنحن الصافون : أي أقدامنا في الصلاة.

وإنا لنحن المسبحون : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به.

وإن كانوا ليقولون : أي كفار مكة.

لو أن عندنا ذكرا : أي كتابا من كتب الأمم السابقة.

فكفروا به : أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.

فسوف يعلمون : أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدوا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال باطل المشركين فقد قال لهم تعالى ﴿فإنكم وما تعبدون[1]﴾ من أصنام أيها المشركون. ما أنتم بمضلين أحدا إلا أحدا هو صال[2] الجحيم حيث كتبنا عليه ذلك في كتاب المقادير فهو لابد عامل بما يوجب له النار فهذا قد يفتتن بكم وبعبادتكم فيضل بضلالكم.

وقوله تعالى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم[3] وإنا لنحن الصافون[4] وإنا لنحن المسبحون﴾ هذا قول جبريل للنبي ﷺ أخبره بأن الملائكة تصف في السماء للصلاة كما يصف المؤمنون من الناس في الصلاة، وانهم من المسبحين لله الليل والنهار وقد أخبر النبي ﷺ بأنه ما من موضع شبر في السماء إلا عليه ملك ساجدأو قائم وقوله تعالى ﴿وإن[5] كانوا ليقولون﴾ أي مشركو العرب ﴿لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾ أي كتابا من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل، لكنا عباد الله المخلصين أي لكنا عباداً لله تعالى نعبده ونوحده ولا نشرك به أحداً. فرد تعالى على قولهم هذا إذ هو مجرد تمنٍ كاذب بقوله فكفروا به أي فكفروا بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الكريم. إذاً فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم إن لم يتوبوا وهو هلاكهم وخسرانهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ من كتب الله عليه النار فسوف يصلاها.

٢ـ تقرير عبودية الملائكة وطاعتهم لله وأنهم لا يتجاوزون ما حد الله تعالى لهم.

٣ـ فضل الصفوف في الصلاة وفضل تسويتها.

٤ـ بيان كذب المشركين إذ كانوا يدعون أنهم لو أُنزل عليهم كتابٌ كما أنزل على من قبلهم لكانوا عباد الله المخلصين أي الذين يعبدونه ويخلصون له العبادة.

---

(١) جائز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجائز أن تكون مصدرية أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام ما تفتنون على الله عبداً من عباده بإضلاله وإفساده إلا عبداً قضى الله بعذابه فهو صال الجحيم، وفي الآية رد على نفاة القدر، ومن احسن ما قيل شعراً قول لبيد بن ربيعة :

إن تقوى رَبِّنَا خير نفل وبإذن الله رَيْثي والعجل
احمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

(٢) الأصل صالي الجحيم وحذفت الياء لعدم النطق بها لوجود همزة الوصل.

(٣) هذا من قول الملائكة. قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ أهنا تفارقني؟ فقال مااستطيع أن أتقدم عن مكاني وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم.

(٤) روى مسلم أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم في المسجد فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقالوا يارسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف.

(٥) وإن كانوا ليقولون : إن مخففة من الثقيلة واللام للابتداء وهي الفارقة بين المخففة والنافية.

٥- تهديد الله تعالى للمشركين على كذبهم بقوله فسوف يعلمون.

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات:

سبقت كلمتنا : هي قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي.

وإن جندنا لهم الغالبون: أي للكافرين بالحجة والنصرة.

فتولَّ عنهم حتى حين : أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال.

وأبصرهم : أي أنظرهم.

فإذا نزل بساحتهم : أي العذاب.

وتولَّ عنهم : أي أعرض عنهم.

سبحان ربك : أي تنزيها لربّك يا محمد.

عما يصفون : أي تنزيها له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

وسلام على المرسلين : أي أَمَنَةٌ من الله لهم في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين : أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

معنى الآيات:

لما ختم السياق الأول بتهديد الكافرين بقوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون﴾ أخبر تعالى

رسوله بما يطمئنه على نصر الله تعالى له فقال ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾[1] وهي قوله ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

أي بالحجة والبرهان، وبالرمح[2] والسنان. وقوله ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ يأمر رسوله أن يعرض عن المشركين من قومه حتى حين يأمره فيهم بأمر،[3] أو ينزل بهم بلاء أو بأساً وقوله ﴿وأبصرهم﴾ أي أنظرهم فسوف يبصرون لا محالة ما ينزل بهم من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة. وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، ينكر تعالى عليهم استعجالهم العذاب الدال على سفههم وخفة أحلامهم إذ ما يستعجل العذاب إلا أحمق جاهل وعذاب من استعجلوا إنه عذاب الله!! قال تعالى ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ أي بفناء دارهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي بئس صباحهم من صباح إنه صباح هلاكهم ودمارهم ثم أمر تعالى مرة أخرى رسوله أن يتول عنهم وينتظر ما يحل بهم فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر[4] فسوف يبصرون﴾ وفي الآية من التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين مالا يقادر قدره. وأخيرا نزه تعالى نفسه عما يصفه به المشركون من الولد والشريك وسلّم على المرسلين، وحمد نفسه مشيرا إلى مقتضى الحمد وموجبه وهو كونه رب العالمين فقال ﴿سبحان[5] ربك﴾ يا محمد ﴿رب العزة﴾ ومالكها يعز بها من يشاء ويذل من يشاء ﴿عما يصفون[6]﴾ من الصاحبة والولد والشريك، ﴿وسلام﴾ منا ﴿على المرسلين﴾ وأنت منهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصره أولياءه وإهلاكه أعداءه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير النبوة المحمدية.

٢ـ وعد الله تعالى لرسوله بالنصر وقد أنجزه ما وعده والحمد لله.

٣ـ استحباب ختم الدعاء أو الكلام بقراءة جملة ﴿سبحان ربك ربّ العزة[7] عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ لورود ذلك في السنة.

---

(١) جائز أن يكون المراد قوله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ الآية.

(٢) قال الحسن: لم يقتل من أصحاب الشرائع أحد قط.

(٣) كاذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلهم أو يأتي يوم بدر أو الفتح

(٤) كرر للتأكيد، وكذا وتول عنهم مكرر للتأكيد.

(٥) سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (سبحان الله) فقال هو تنزيه الله عن كل سوء.

(٦) يصفون الله عز وجل بأن له صاحبة وله ولداً وشريكاً.

(٧) ذكر القرطبي أن النبي ﷺ كان يختم صلاته غير مرة بقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ صٓ

مكية

وآياتها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا
أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤)
أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦)
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنزِلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ
(٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠)
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (١١)

شرح الكلمات:

صٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب صٓ ويقرأ صاد الله أعلم بمراده به.

والقرآن ذي الذكر : أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر وشاعر وكاذب.

بل الذين كفروا في عزة وشقاق : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة

فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه.

وكم أهلكنا قبلهم من قرن: أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم.

فنادوا ولات حين مناص: أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة.

وعجبوا: أي وما اعتبر بهم أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ.

قالوا ساحر كذاب: أي لما يظهره من الخوارق ولما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال.

أجعل الآلهة إلهاً واحدا: أي لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، فقالوا كيف يسع الخلائق إله واحد؟

إن هذا لشيء عجاب: أي جعل الآلهة إلها واحدا أمر عجيب.

وانطلق الملأ منهم أن امشوا: أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ وسمعوا منه قوله لهم قولوا لا إله إلا الله.

إن هذا لشيء يراد: أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منّا تنفيذه.

في الملة الآخرة: أي ملة عيسى عليه السلام.

إن هذا إلا اختلاق: أي ما هذا إلا كذب مختلق.

أأنزل عليه الذكر من بيننا: أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف.

بل هم في شك من ذكري: أي بل هم في شك من القرآن والوحي ولذا قالوا في الرسول ما قالوا.

بل لما يذوقوا عذاب: أي بل لم يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوه لما كذبوا بل آمنوا ولا ينفعهم إيمان.

أم عندهم خزائن رحمة ربك: أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا.

أم لهم ملك السموات والأرض: أي ليس لهم ذلك.

فليرتقوا في الأسباب: أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنىّ لهم ذلك.

جند ما هنالك مهزوم: أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر.

من الأحزاب: أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿صٓ[1] والقرآن ذي الذكر﴾ أمّا صٓ فإنه أحد حروف الهجاء ومذهب السلف فيه أن

---

(١) قرأ الجمهور صٓ بالسكون وقرأ الحسن وأبي بن كعب صاد بكسر الدال وبدون تنوين، وتوجيهها أنها من صادَى يصادي إذا عارض نحو ﴿فأنت له تصدى﴾ أي تتعرض والمصادات المعارضة، والمعنى عارض القرآن بعملك وقابله به، فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه أو اتله وتعرض لقراءته.

يقال الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذي يجب الإيمان به ويوكل أمر معناه إلى من أنزله، وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف قد أفادت فائدتين فليطلبهما من شاء من القراء الكرام من السور المفتتحة بمثل هذه الحروف نحو طسٓ، الٓمٓ. وأما قوله ﴿والقرآن﴾ هو كتاب الله هذا المنزل على محمد ﷺ ﴿وذي الذكر﴾[1] معناه التذكير إذ به يذكر الله تعالى والجملة قسم أقسم الله به فقال ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ وجواب القسم محذوف تقديره[2] ما الأمر كما يقول هؤلاء المشركون من أن النبي محمدا ﷺ ساحر وشاعر وكاذب ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ أي بل هم في عزة نفس وكبرياء وخلاف وعداوة مع النبي ﷺ والمؤمنين فحملهم ذلك على أن يقولوا في الرسول ما قالوا، وإلاّ فهم يعلمون يقينا أن النبي محمدا ﷺ أبعد الناس عن السحر والشعر والكذب والجنون. وقوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناها بتكذيبها لرسلها فلما جاءهم العذاب نادوا[3] صارخين مستغيثين ﴿ولات[4] حين مناص﴾ أي وليست الساعة ساعة نجاة ولا هرب، فلم لا يعتبر مشركو مكة بمثل هؤلاء. لم يعتبروا ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة وهو محمد ﷺ. ﴿وقال الكافرون﴾ أي لم يعتبروا وعجبوا وقالوا فيه ﷺ ﴿ساحر كذاب﴾. ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب[5]﴾ أي عجيب أي كيف يسع العباد إله واحد إن هذا لأمر يتعجب منه غاية العجب، لأنهم قاسوا الغائب وهو الله تعالى على الشاهد وهو الإنسان الضعيف فوقعوا في أفحش خطأ وأقبحه.

وقوله تعالى ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ وهم يقولون لبعضهم بعضا امشوا واصبروا على آلهتكم ﴿إنّ هذا لشيء يراد﴾ أي منا إمضاؤه وتنفيذه. قالوا هذا وما بعده من القول لما اجتمعوا بالرسول ﷺ في منزل عمه أبي طالب لمفاوضة الرسول في شأن دعوته فلما قال لهم الرسول ﷺ قولوا لا إله إلا الله قاموا من المجلس وانطلقوا يمشون ويقولون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أنّ امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي على عبادتها فلا تتخلوا عنها ﴿إن هذا﴾ أي الدعوة إلى لا إله إلا الله لشيء

---

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفا له. في الدارين كما انه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه وقيل الموعظة وقيل فيه أسماء الله وتمجيده.

(٢) وذُكر لجواب القسم أمور منها ما في التفسير وهو أمثلها وقيل الجواب بل الذين كفروا وقيل الجواب إنه لمن عند الله تعالى أي القرآن المؤلف من حروف ص وغيره.

(٣) النداء رفع الصوت ومنه الحديث «ألقه على بلال فإنه أندى منك صوتا» القرن الأمة.

(٤) ولات هي لا النافية زيدت فيها التاء كما زيدت في رُبت وثمت وهي مشبهة بليس وهي مختصة بنفي أسماء الزمان والمناص النجاء والغوث وهو مصدر ميمي من نَاصَهُ إذ فاته والمعنى فنادوا مبتهلين في حال ليس فيها وقت نجاة وغوث.

(٥) العجاب وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا لأن وزن فعال بضم أوله يدل على تمكن الوصف مثل طوال أو كرام.

كبير يراد منا إمضاؤه وتنفيذه لصالح غيرنا. ما سمعنا بهذا أي بالتوحيد في الملة الآخرة أي الدين الأخير وهو ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي ما هذا الذي يدعو إليه محمد إلا كذب اختلقه لم ينزل عليه ولم يُوحَ به إليه. وواصلوا كلامهم قائلين ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ أي القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس هو بأكبرناسنا ولا بأشرفنا نسباً. فكيف يكون هذا؟ وقوله تعالى ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أي لم يكن بالقوم جهل بصدق محمد في قوله وسلامة عقله، وإنما حملهم على ذلك هو شكهم في القرآن وما ينزل به من الحق ويدعو إليه من الهدى، وهذا أولاً وثانيا إنهم لما يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوا عذاب الله على تكذيبهم ما كذبوا، وسوف يذوقونه ولكن لا ينفعهم يومئذ تصديق ولا إيمان. وقوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ أي بل أعندهم خزائن رحمة ربك يا رسولنا العزيز أي الغالب الوهاب أي الكثير العطاء من النبوة وغيرهاوعندئذلهمأن يعطوامن شاءواويمنعوامن شاءوا ولكن فهل لهم من خزائن رحمة ربك شيء والجواب لا إذاً فلم ينكرون هبة الله لمحمد بالنبوة والوحي والرسالة.. وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾ أي بل ألهم ملك السموات والأرض وما بينهما؟ إذا كان هذا لهم ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ سببا بعد سبب حتى ينتهوا إلى السماء السابعة ويمنعوا الوحي النازل على محمد ﷺ من ربّه سبحانه وتعالى. ومن أين لهم ذلك وهم الضعفاء الحقيرون إنهم كما قال تعالى فيهم ﴿جند ما هنالك مهزوم[1] من الأحزاب﴾ أي جند حقير من جملة أحزاب الباطل والشر مهزوم هنالك ببدر ويوم الفتح بإذن الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ لله تعالى أن يقسم بما يشاء بخلاف العبد لا يقسم إلا بربّه تعالى.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء وعداء للنبي ﷺ.

٣ـ بيان جهل المشركين في استنكارهم للا إله إلا الله محمد رسول الله.

٤ـ تحدِّي الرب تعالى للمشركين إظهاراً لعجزهم ودعوته لهم إلى النزول إلى الحقِّ وقَبوله.

٥ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.

٦ـ ذم كلمة الأحزاب ومدلولها إذ لا تأتي الأحزاب بخير.

---

(١) جند ما هنالك (ما) مزيدة للتأكيد أي تأكيد حقارة جند إن قيل التنكير للتحقير وإن كان للتعظيم فهي لتوكيده وهنالك إشارة إلى مكان بعيد، ومهزوم مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم وذهبت قوتهم وفي الخطاب تسلية للنبي ﷺ بمعنى لا تحفل بهم ولا تغتم لشأنهم.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾
ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم : أي قبل هؤلاء المشركين من قريش .

وفرعون ذو الأوتاد : أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه .

وأصحاب الأيكة : أي الغيضة وهم قوم شعيب .

إن كل إلا كذب الرسل : أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه .

فحق عقاب : أي وجبت عقوبتي عليهم .

صيحة واحدة : هي نفخة اسرافيل في الصور نفخة .

مالها من فواق : أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شيء .

عجل لنا قطنا : أي صك أعمالنا لنرى ما اعددت لنا إذ القط الكتاب .

ذا الأيد : أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى .

إنه أواب : أي رجاع إلى الله في كل أموره .

بالعشي والإشراق : أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب والاشراق من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى .

والطير محشورة له : أي والطيور مجموعة.

وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب : أي وأُعطينا داود الحكمة. وهي الإصابة في الامور والسداد فيهـا وفصل الخطاب. الفقه[1] في القضاء ومن ذلك البيّنة على المُدّعي واليمين على من أنكر.

معنى الآيات:

السياق الكريم في تسلية النبي ﷺ وتهديد المشركين علهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿كذبت[2] قبلهم﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ أي[3] صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشانق، ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب، ﴿أولئك الأحزاب﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿إن كُلٌّ إلاَّ كذب الرسل﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿فحقّ عقاب﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقبتهم، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿إلا صيحة واحدة مالها من فواق[4]﴾ أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام. وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا[5] قبل يوم الحساب﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآيات من سورة الحاقة. قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء، ربنا عجل لنا قطنا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، وإنما قالوا هذا استهزاء وعنادا أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد[6]﴾ أي القوة في دين الله[7] ﴿إنه أواب﴾ أي رجاع إلى الله تعالى

(١) صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلاً فقالت له يابن الزانين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلى من ستة وجوه وهي: ١ـ المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلّف. ٢ـ إن كان القذف حقاً لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حداً واحداً كما هو مذهب أبي حنيفة. ٣ـ أقام الحد بدون مطالبة المقذوف به. ٤ـ إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما. ٥ـ أنه حدها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة. ٦ـ انه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد.

(٢) مفعول كذبت محذوف سيدل عليه ما يأتي من قوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملة بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول ﷺ.

(٣) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر:

والبيت لا يبنى إلا على عمد   ولا عماد إذا لم تُرْسَ أوتاد

(٤) الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب يحلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يبعده ويحلبها مرة ثانية فالفواق هو مابين الحلبتين والرضعتين.

(٥) القط: هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد ويسمى بالصك.

(٦) الأيد ليست جمع يد وإنما المراد بها القوة والشدة وهو مصدر آدَ يئيد أيداً. إذا قوى واشتد ومنه التأييد الذي هو التقوية. قال تعالى ﴿فآواكم وأيدكم بنصره﴾.

(٧) شاهده قوله ﷺ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أواباً «في الصحيحين».

اذكره لتتأسى به في صبره وقوته في الحق وقوله تعالى ﴿إنا سخرنا﴾ الآيات بيان لإنعام الله تعالى على داود لتعظم الرغبة في الاقتداء به، والرغبة إلى الله تعالى فيما لديه من إفضالات ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق﴾[1] أي إذا سبح داود في المساء من بعد العصر إلى الغروب وفي الاشراق وهو وقت الضحى سبحت الجبال معه أي رددت تسبيحه كرامة له والطير محشورة أي وسخرنا الطير محشورة أي مجموعة تردد التسبيح معه، وقوله ﴿كل له أواب﴾ أي كل من الجبال والطير أواب أي رجاع يسبح الله تعالى. وقوله ﴿وشددنا ملكه﴾ أي قوينا ملك داود بمنحنا إياه كل أسباب القوة المادية والروحية. ﴿وآتيناه الحكمة﴾ وهي النبوة والإصابة في الأمور والسداد فيها قولا كانت أو فعلا. ﴿وفصل الخطاب﴾ أي حسن القضاء والبصيرة فيه، والبيان الشافي في كلامه. فبه اقتده يارسولنا.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش وتكذيبها وعنادها.

٢- تهديد قريش إذا أصرت على التكذيب بأشد أنواع العقوبات.

٣- بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بأخبار الله تعالى وشرائعه.

٤- مشروعية الأسوة والاقتداء بالصالحين.

٥- بيان آية تسخير الله تعالى الجبال والطير لداود تسبح الله تعالى معه.

٦- حسن[2] صوت داود في قراءته وتسبيحه.

٧- مشروعية صلاة الإشراق والضحى.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت امر بهذه الاية بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانيء أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة (الضحى) وقال يا أم هانيء هذه صلاة الإشراق. وروى البخاري عن أبي هريرة قال أو صاني خليلي بثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر.

(٢) شاهده قوله ﷺ لأبي موسى الأشعرى وقد سمعه يقرأ القرآن ويرتل بحسن صوت لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود. والمزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت آلة الزمر مزماراً.

وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ

شرح الكلمات :

هل أتاك : الاستفهام هنا للتعجب أي حمل المخاطب على التعجب.

نبأ الخصم : أي خبر الخصم الغريب في بابه العجيب في واقعه.

إذ تسوروا المحراب : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول من الباب فقصدوا سوره ونزلوا من أعلى السور.

بغى بعضنا على بعض : أي تعدّى بعضنا على بعض.

فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط: أي احكم بالعدل ولا تجر في حكمك.

واهدنا إلى سواء الصراط : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق.

إن هذا أخي : أي عَلَى ديني في الإسلام.

فقال اكفلنيها : أي اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكنيها.

وعزني في الخطاب : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني.

لقد ظلمك بسؤال نعجتك : أي بطلبه نعجتك وضمها إلى نعاجه.

من الخلطاء ليبغي بعضهم : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضا.

وظن داود أنما فتناه : أي أيقن داود أنما فتنه ربه أي اختبره.

فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب : أي طلب المغفرة من ربه بقوله استغفر الله وسقط ساجدا على الأرض وأناب أي رجع تائبا إلى ربه.

وإن له عندنا لزلفى

وحسن مآب : أي وحسن مرجع عندنا وهي الجنة والدرجات العلا فيها.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تسلية الرسول وحمله على الصبر على ما يعاني من كفار قريش من تطاول وأذى فقال له ربّه تعالى ﴿هل أتاك﴾ إلى آخر الآيات. وذلك أن داود[1] عليه السلام ذكر مرة في نفسه ما اكرم الله تعالى به ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله فقيل له إنهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذي ابتلوا به ويعطى كالذي أُعطوا إن هو صبر فاختبره الله تعالى بناء على رغبته فأرسل إليه ملكين[2] في صورة رجلين فتسوروا عليه المحراب كما يأتي تفصيله في الآيات وهو قوله تعالى ﴿وهل أتاك﴾ يا رسولنا نبأ الخصم[3] وهما ملكان في صورة رجلين، ولفظ الخصم يطلق على الواحد والأكثر كالعدو فيقال هذا خصمي وهؤلاء خصمي، وهذا عدوي، وهؤلاء عدوٌ لي. وقوله ﴿إذ تسوّروا[4] المحراب﴾ أي طلعوا على سور المنزل الذي هو المحراب في عرف بني اسرائيل ولم يدخلوا من الباب لأن الحرس منعهم من ذلك، لأن لداود وقتا ينقطع فيه للعبادة فلا يسمح بمقابلة أحد وقوله ﴿إذ دخلوا على داود وهو في محرابه ففزع منهم﴾ أي ارتاع واضطرب نفسا ﴿فقالوا لا تخف خصمان﴾ أي نحن خصمان ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ أي اعتدى بعضنا على بعض جئنا نتحاكم إليك ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي لا تجر في الحكم ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أي إلى وسْط[5] الطريق فلا تمل بنا عن الحق. ثم عرضا عليه القضية فقال أحدهما وهو المظلوم عارضاً مظلمته ﴿إن هذا أخي﴾ أي في الإسلام ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال لي أكفلنيها﴾ أي ملكنيها أضمها إلى نعاجي، ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي وغلبني في الكلام والجدال وأخذها مني. فقال داود على الفور وبدون أن يسمع من الخصم الثاني ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ وعلل لذلك بقوله ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ أي الشركاء في زرع أو ماشية أو تجارة ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم أهل الإيمان والتقوى فإنهم يسلمون من

---

(١) ذكر المفسرون هنا نقلا عن كتب بني اسرائيل عجائب وغرائب في قصة داود هذه من أبشعها انه نظر من كوة المحراب فرأى امرأة تغتسل فاحبها وطلبها بأن أرسل زوجها إلى الجهاد ليموت قتيلا حتى يتزوج داود امرأته بعد موته اعرضنا عن هذه الأباطيل منزهين نبي الله عن هذه الأكاذيب الممجوجة التي لا يرتكبها أقل الناس إيمانا وشأنا كما نسبوا إلى يوسف ما نسبوا، رواية عن اليهود وهم أكذب خلق الله تعالى بعد أن لعنوا بظلمهم.

(٢) لا خلاف بين المفسرين ان الخصمين كانا ملكين. انتهى.

(٣) شاهده قول الشاعر:

وخصم غضاب ينفضون لحاهم　　كنفض البراذين العراب المخاليا

(٤) إذ ظرف للزمان الماضي متعلق بمحذوف تقديره: تحاكم الخصم إذ تسوروا الخ.

(٥) سواء الصراط أي وسط الطريق وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق.

مثل هذه الاعتداءات، ﴿وقليل ما هم﴾ أي وهم قليل جداً، وهنا طار الملكان من بين يدي داود وعرجا إلى السماء فعلم عندئذ أنما فتنه ربّه كما رغب إليه وأنه لم يصبر حيث قضى بدون أن يسمع من الخصم الثاني فكانت زلة صغيرة أرته أن ما ناله إبراهيم واسحق ويعقوب من الكمال كان نتيجة ابتلاء عظيم، وهنا استغفر داود ربّه ﴿وخر راكعا﴾[1] يبكي ويطلب العفو وأناب إلى ربّه في أمره كله، وذكر تعالى أنه قبل توبته وعفا عنه فقال تعالى ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ أي لقُربة عندنا ﴿وحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الدرجات العلا في دار الأبرار، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضله ورحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فائدة عرض مثل هذا القصص تقوية قلب الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده وحمله على الصبر.

٢ـ تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذا القصص لا يتأتّى له قصه إلا بوحي إلهي.

٣ـ تقرير جواز تشكل الملائكة في صورة[2] بني آدم.

٤ـ حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام.

٥ـ وجوب التوبة عند الوقوع في الذنب

٦ـ مشروعية السجود[3] عند قراءة هذه الآية ﴿وخرّ راكعاً وأناب﴾.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ (٢٥)

---

(١) أطلق الركوع وأريد به السجود وهو شائع كما في قول الشاعر:

فخر على وجهه راكعاً   وتاب إلى الله من كل ذنب

(٢) وكثيرا ما كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي.

(٣) في البخاري قال ابن عباس قال ﷺ ليست من عزائم القرآن وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها قال ابن العربي: والذي عندي أنها ليست موضع سجود ولكن النبي ﷺ سجد فيها فسجدنا بالاقتداء به وقد صح عن النبي ﷺ سجود الشكر. ولما بشر بقتل أبي جهل قام فصلى ركعتين شكراً لله تعالى.

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات:

إنا جعلناك خليفة	: أي خلفت من سبقك تدبر أمر الناس بإذننا.
ولا تتبع الهوى	: أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهيه.
فيضلك عن سبيل الله	: أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه.
إن الذين يضلون عن سبيل الله	: أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى.
بمانسوا يوم الحساب	: أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى.
باطلا	: أي عبثا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق.
ذلك ظن الذين كفروا	: أي ظنُّ أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثا لا لحكمة مقصودة منها ظن الذين كفروا.
فويل للذين كفروا من النار	: أي من واد في النار بعيد غوره كريه ريحه لا يطاق.
مبارك	: أي لا تفارقه البركة يجدها قارئه والعامل به والحاكم بما فيه.
وليتذكر أولوا الألباب	: أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجحة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر قصة داود للعظة والاعتبار وتثبيت فؤاد النبي ﷺ فقال تعالى ﴿يا داود﴾[1] أي

(١) افتتاح الخطاب بالنداء لاسترعاء وعي المخاطب ليهتم بما سيقال له.

وقلنا له أي بعد توبته وقبولها يا داود ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[1] خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي بالعدل الموافق لشرع الله ورضاه، ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وهو ما تهواه نفسك دون ما هو شرع الله، ﴿فيضلك﴾[2] أي اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله المفضي بالعباد إلى الإسعاد والكمال وذلك أنّ الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الإلهية انتظمت بها مصالح العباد ونفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لاغير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين، وقوله تعالى ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ القائم على الإيمان والتقوى وإقامة الشرع والعدل هؤلاء ﴿لهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة بما نسوا يوم الحساب﴾[3] أي بسبب نسيانهم ليوم القيامة فتركوا العمل له وهو الإيمان والتقوى التقوى التي هي فعل الأوامر الإلهية واجتناب النواهي في العقيدة والقول والعمل. ، وقوله تعالى في الآية (٢٧) ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ ينفي تعالى ما يظنه المشركون وهو أن خلق الكون لم يكن لحكمة اقتضت خلقه وإيجاده وهي أن يعبد الله تعالى بذكره وشكره المتمثل في الإيمان والتقوى. وقوله ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي ظن أن الله خلق السماء والأرض وما بينهما لا لحكمة مقصودة وهي عبادة الله تعالى بما يشرع لعباده من العبادات القلبية والقولية والفعلية ظن الذين كفروا من كفار مكة وغيرهم. ثم توعدهم تعالى على كفرهم وظنهم الخاطىء الذي نتج عنه كفرهم وعصيانهم فقال ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل للذين كفروا من واد في جهنم بعيد الغور كريه الريح. وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا أولاً ردٌّ لما زعمه المشركون من أنهم يعطون في الآخرة من النعيم مثل ما يعطى المؤمنون، وثانيا ينفي تعالى أن يسوى بين من آمن به واتبع هداه فأطاعه في الأمر والنهي، وبين من أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي كما نفى أن يجعل المتقين الذين آمنوا واتقوا فتركوا الشرك والمعاصي كالفجار الذين فجروا أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحدوا فعاشوا كفاراً فجاراً وماتوا على ذلك. أي

---

(١) لا يقال يا خليفة الله إلا لرسوله اما من عدا الرسل فإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله وليس خليفة لله تعالى والصحابة قالوا لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ.

(٢) الفاء هي السببية والمضارع بعدها منصوب وفي الآية تحريم اتباع هوى النفس المسبب الخروج عن دائرة العدل والحق. وفي الآية دليل على انه لا يجوز الحكم بعلم الحاكم بل بالبينة والشهود وقد روي أن النبي ﷺ اشترى فرساً فجحده البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي؟ فقام خزيمة فشهد فحكم عليه.

(٣) سمي يوم القيامة يوم الحساب لما يجري فيه من حساب الناس بما كسبوا من خير وشر وسمي يوم الدين للمجازاة التي تتم بعد الحساب، وسمي يوم الفصل للفصل بين الناس والحكم لهم فيما بينهم.

فحاشا لله ربّ العالمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين أن يسوي بين أهل الإيمان والتقوى وبين أهل الشرك والمعاصي بل ينعم الأولين في دار النعيم، ويعذب الآخرين في سواء الجحيم وقوله تعالى في الآية (٢٩) ﴿كتاب أنزلناه﴾ أي هذا كتاب مبارك أنزلناه على رسولنا ليدبّروا[1] آياته بمعنى يتأملوها ويترووها بعقولهم فيحصلوا على هداية القلوب والعقول فيؤمنوا بالله ويعملوا بطاعته فينجوا ويسعدوا. وليذكّر أولوا[2] الألباب أي وليتعظ بمواعظه وينزجر بزواجره أولو الألباب أي العقول السليمة ووصف الكتاب وهو القرآن بالبركة هو كما أخبر الله لا تفارق القرآن البركة وهي الخير الدائم فكل من قرأه متدبراً عرف الهدى ومن قرأه تقرباً حصل على القرب وفاز به ومن قرأه حاكماً عدل في حكمه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- وجوب الحكم بالعدل على كل من حكم ولا عدل في غير الشرع الإلهي.

٢- حرمة اتباع الهوى لما يفضي بالعبد إلى الهلاك والخسار.

٣- تقرير البعث والجزاء.

٤- إبطال ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثا وباطلا.

٥- تنزيه الربّ تعالى عن العبث والظلم.

٦- فضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر.

٧- بركة[3] القرآن لا تفارقه ابداً وما طلبها أحد إلا وجدها.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

---

(١) ليدبروا أصلها ليتدبروا فادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما.

(٢) الألباب العقول والواحد لب ويجمع على ألبّ كما جُمع بؤس على ابؤس قال أبو طالب قلبي إليه مشرف الألب، والتذكر هو استحضار الذهن ما كان يعلمه كاستحضار ما هو منسي أيضاً.

(٣) بركة القرآن تتجلى في صرفها النفس عن السوء ودفعها إلى الخير وذلك لمن يقرأ القرآن موقناً به متدبراً له فإن له في كل حرف عشر حسنات مع ما يفيضه على روحه من نور المعرفة وحب الآخرة.

شرح الكلمات:

وهبنا لداود سليمان : أي ومن جملة هباتنا لداود الأواب أن وهبنا له سليمان ابنه.

نعم العبد إنه أواب : أي سليمان أي رجاع إلى ربّه بالتوبة والإنابة.

الصافنات الجياد : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث الجياد أي السوابق.

حب الخير : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي صلاة العصر لإنشغاله باستعراض الخيل للجهاد.

حتى توارت بالحجاب : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين.

ردوها علي : أي ردوا الخيل التي استعرضتها آنفا فشغلتني عن ذكر ربّي.

فطفق مسحاً بالسوق : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل واعناقها.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إفضال الله على داود[1] حيث قال ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ فذكر تعالى أنه وهبه سليمان وأثنى على سليمان بأنه نعم العبد لله، وعلل لتلك الأفضليّة بقوله ﴿إنه أواب[2]﴾ أي كثير الأوبة إلى الله تعالى، وهي الرجوع إلى الله بذكره واستغفاره عند الغفلة والنسيان العارض للعبد، وأشار تعالى إلى ذلك بقوله ﴿إذ عرض[3] عليه بالعشي الصافنات الجياد[4]﴾ أي الخيل القوية على السير التي إذا وقفت تأبى أن تقف على أربع كالحمير بل تقف على ثلاثٍ وترفع الرابعة، والجياد هي السريعة العدو، وهذا العرض كان استعراضا منه لها إعداداً لغزو أراده فاستعرض خيله فانشغل بذلك عن صلاة العصر فلم يشعر إلا وقد غربت الشمس وهو معنى قوله تعالى

﴿حتى توارت﴾ أي استترت الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي بالأفق الذي حجبها عن أعين الناظرين. فندم لذلك وقال ﴿إني أحببت حب الخير﴾ أي الخيل ﴿عن ذكر ربّي﴾ وصلى العصر، ثم عاد إلى إكمال الاستعراض فردها رجاله عليه فجعل يمسح بيده[5] سوقها واعناقها حتى أكمل استعراضها هذا وجه الأوبة التي وصف بها سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿إنه أواب﴾.

---

(١) جملة نعم العبد في محل نصب على الحال والمخصوص بالمدح محذوف أي سليمان.

(٢) الجملة تعليلية لما سبقها.

(٣) العارض هم سُوَّاس خيله. والعرض هو الإمرار والإحضار امام الرائي والجياد جمع جواد وهو الفرس الشديد الحُضْر، كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها. والجواد يجمع على أجواد وأجاود.

(٤) الصافنات صفة لموصوف محذوف وهو الخيل أو الأفراس وهو الذي يقف على ثلاث قوائم والواحدة صافنة.

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق انه ذبحها وأطعمها الفقراء لأنها ألهته عن الصلاة وما في التفسير هو اختيار ابن جرير وهو الحق والصواب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- الولد الصالح هبة إلهيّة لوالده فليشكر الله تعالى من وهب ذلك .

٢- الثناء على العبد بالتوبة الفوريّة التي تعقب الذنب مباشرة .

٣- جواز استعراض الحاكم القائد قواته تفقداً لها لما قد يحدثه فيها .

٤- اطلاق لفظ الخير على الخيل فيه تقرير أن الخيل إذا ربطت في سبيل الله كان طعامها وشرابها حسنات لمن ربطها في سبيل الله كما في الحديث الصحيح «الخيل لثلاث . . . . . . » .

٥- ربط الطائرات النفاثة في الحظائر اليوم والمدرعات وإعداداها للقتال في سبيل الله حل محل ربط الجياد من الخيل في سبيل الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ولقد فتنا سليمان : أي ابتليناه .

وألقينا على كرسيّه جسداً : أي شق ولد ميت لا روح فيه .

ثم أناب : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه .

وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي : أي أعطني ملكاً لا يكون لسواي من الناس .

فسخرنا له الريح : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رخاء حيث أصاب : أي لينة حيث أراد.

والشياطين كل بناء وغواص : أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في البحر.

مقرنين في الأصفاد : أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون المظلمة وذلك إذا تمردوا وعصوا أمراً من أوامره.

هذا عطاؤنا : أي وقلنا له هذا عطاؤنا.

فامنن أو امسك : أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.

بغير حساب : أي مِنَّا لك.

وإن له عندنا لزلفى : أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.

وحسن مآب : أي مرجع في الجنة في الدرجات العلا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على آل داود فقد أخبر تعالى هنا عما منّ به على سليمان فأخبر تعالى انه ابتلاه كما ابتلى أباه داود وتاب سليمان كما تاب داود ولم يسقط ذلك من علو منزلتهما وشرف مقامهما قال تعالى في الآية (٣٤) ﴿ولقد فتنا سليمان﴾[١] أي ابتليناه، وذلك انه كما اخبر رسول ﷺ في الصحيح أنه قال لأطأن الليلة مائة جارية[٢] تلد كل جارية ولداً يصبح فارساً يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله أي لم يستثن ووطىء نساءه في تلك الليلة فعوقب لعدم استثنائه فلم يلدن إلا واحدة جاءت بولد مشلول بالشلل النصفي فلما وضعته أمه أتوا به إلى سليمان ووضعوه على كرسيه. وهو قوله تعالى ﴿وألقينا على كرسيّه جسداً ثم أناب﴾ سليمان إلى ربـه فاستغفر وتاب فتاب الله عليه وقال ﴿ربِّ اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي[٣] لأحد من بعدي﴾ أي لا يكون مثله لسواي من الناس وتوسل إلى الله في قبول دعائه بقوله ﴿إنك أنت

---

(١) ذكر المفسرون لهذه الفتنة عدة أمور وهي قصص أشبه بالخرافات الاسرائيلية أمثلها مارواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان وكان يحبها فهوى ان يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى وما في التفسير أصح وأقرب إلى تفسير الآيات.

(٢) نص الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون.

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال إن عفريت من الجن تفلت عليّ البارحة ليقطع على صلاتي فحماني الله تبارك وتعالى منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ فرددته خاسئا.

الوهاب﴾ فاستجاب الله تعالى له فسخر له الريح تجري بأمره حيث يريد لأنها تحمل بساطه أو سفينتـه الهوائية التي غدوها شهر ورواحها شهر رخاء أي ليّنة حيث أصاب أي أراد، كما سخر له شياطين الجن منهم البناء الذي يقوم بالبناء للدور والمصانع ومنهم الغواص في أعماق البحر لاستخراج اللآلي، ومنهم من إذا عصاه وتمرد عليه جمع يديه إلى عنقه بصفدٍ ووضعه تحت الأرض. هذا ما جاء في قول الله تعـالى ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾[1] وقوله تعالى ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ أي اعطيناه ما طلب منا وقلنا له هذا اعطاؤنا لك فامنن أي أعط ما شئت لمن شئت وامنع ما شئت عمن شئت بغير حساب منا عليك. وفوق هذا وإن لك عندنا يوم القيامة للقربة وحسن المرجع وهو قوله تعالى ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير قول بعضهم حسنات الأبرار سيئات المقربين إذ عدم الاستثناء في قوله لأطأن الليلة مائة جارية الحديث عوقب به فلم تلد امرأة من المائة إلا واحدة وولدت طفلا مشلولا، وعوقب به نبيُّنا ﷺ فانقطع عنه الوحي نصف شهر وأكْرَبه ذلك لأنه لم يستثن عندما سئل عن ثلاث مسائل وقال غدا أجيبكم.

٢ـ مشروعية التوبة من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا.

٣ـ مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى.

٤ـ بيان إنعام الله تعالى على عبده سليمان.

٥ـ بيان تسخير الله تعالى لسليمان الريح والجن وهذا لم يكن لأحد غيره من الناس.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(١) الأصفاد جمع صفد بفتح الصاد والفاء القيد من حديد.

شرح الكلمات:

واذكر عبدنا أيوب : أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم.

بنصب وعذاب : أي بضرّ وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سببا وتأدُّبا مع الله تعالى.

اركض برجلك : أي اضرب برجلك الأرض تنبع عين ماء.

هذا مغتسل بارد وشراب : أي وقلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفى.

ضغثا : أي حزمة من حشيش يابس.

ولا تحنث : بترك ضربها.

نعم العبد : أي أيوب عليه السلام.

إنه أواب : أي رجاع إلى الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق في ذكر قصص الأنبياء ليثبت به فؤاد نبيّه محمد ﷺ فقال تعالى له [1] ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ وهو أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام ﴿إذ نادى ربّه﴾ أي دعاه قائلاً ﴿أنِّي مسني الشيطان بنُصْب وعذاب﴾[2] أي ألم شديد، وذلك بعد مرض شديد دام مدة تزيد على كذا سنة، وقال في ضراعة أخرى ذكرت في سورة الأنبياء ﴿ربِّ اني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ قال تعالى ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وقوله ﴿اركض[3] برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ أي لما أراد الله كشف الضر عنه قال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض ينبع منها ماءٌ فاشربْ[4] منه واغتسل تشف ففعل فشفي كأن لم

---

(١) قال القرطبي أمر النبي ﷺ بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره.

(٢) قرأ الجمهور بنصب بضم النون وتسكين الصاد وقرىء بنصب بفتحها كحزن وحزن فالنصب الشر والبلاء الشديد والنصب بالتحريك التعب والإعياء.

(٣) الباء في بنصب سببية أي مسني نصب وعذاب بسبب وسوسة الشيطان لي فنسب النصب والعذاب إلى الشيطان لأنهما كانا بسبب وسواسه.

(٤) الركض التحريك يقال ركب الدابة إذا حركها برجليه فركضت أي تحركت بسرعة وجملة اركض مقولة لقول محذوف أي قلنا له أركض برجلك.

(٥) أي ماء فيه شفاء ومغتسل اسم مفعول أي مغتسل به هو من باب الحذف والايصال مثل تمرون الديار ولا تعرجوا: فكلامكم إذا عليّ حرام. أي تمرون بالديار فحذف الباء.

يكن به ضرٌّ البتة. وقوله تعالى ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾[1] أي عوضه الله تعالى عما فقد من أهل وولد، وقوله ﴿رحمة منا﴾ أي كان ذلك التعويض لأيوب رحمة منّا وذكرى لأولي الألباب﴾ أي عبرة لأولي القلوب الحيّة الواعية يعلمون بها أن الله قد يبتلي أحب عباده إليه ليرفعه بذلك درجات عالية ما كان ليصل إليها دون الابتلاء في ذات الله والصبر عليه. وقوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾[2] أي قلنا له خذ بيدك ضغثا أي حزمة من حشيش يابس واضرب به امرأتك ضربة واحدة إذ في الحزمة مائة عود وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة لما حصل منها من تقصير في يوم من أيام حياتهما، فأفتاه ربُّه تعالى بما ذكر في هذه الآية. وقوله تعالى ﴿إنا وجدناه صابراً﴾[3] أي قد اختبرناه بالمرض وفقد الأهل والمال والولد فوجدناه صابرا، وبذلك أثنى عليه بقوله ﴿نعم العبد﴾ أي أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ربّه في كل امره لا يعرف إلا الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ تقرير نبوة محمد ﷺ من طريق هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بالوحي الإلهي.

٢ـ قد يبتلي الله تعالى من يحبه من عباده ليزيد في علوّ مقامه ورفعة شأنه.

٣ـ فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة.

٤ـ مشروعية الفتيا وهي خاصة بأهل الفقه والعلم.

٥ـ وجوب الكفارة على من حنث في يمينه.

وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ

---

(١) لم تشر الآيات إلى ان ايوب رزىء بموت أهله ولا بفقد ماله وسياق الآيات لايدل على أن أيوب مات أهله من بنين وأحفاد وما يذكر هنا من كونه فقد أهله بموتهم ثم أحياهم الله تعالى له هو من أحاديث بني اسرائيل، والظاهر أن الله تعالى حفظ لأيوب أهله ووهبه مثلهم أي أعطاه أهله وزاده ضعفهم ولو أراد ما تقوله الناس لقال وأحيينا له أهله ووهبنا له مثلهم والله أعلم.

(٢) هذه الفتيا مما خص الله تعالى بها عبده أيوب فلا تتعداه إلى غيره والنبي ﷺ قال إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفّرت عن يمني وفعلت الذي هو خير وما روى أبو داود من أن رجلا مريضا وجب عليه حد فأفتاهم الرسول ﷺ بضربه بعثكول نخل به مائة عود فضربوه به ضربة واحدة فإن الخبر إن صح فالعلة هي مرضه الشديد وعلته القائمة به.

(٣) الجملة تعليلية لما تقدم من إنعام الله تعالى على أيوب أي وهبه الله ذلك الانعام لصبره على ما ابتلاه به وكذا جملة إنه أواب.

إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات:

واذكر عبادنا : أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة.

أولي الأيدي : أي أصحاب القوى في العبادة.

والأبصار : أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم.

بخالصة : أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها.

لمن المصطفين الأخيار : أي من المختارين الأخيار جمع خيّر.

هذا ذكر : أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا.

وان للمتقين : أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات.

لحسن مآب : أي مرجع أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاة.

متكئين فيها : أي على الأرائك.

يدعون فيها بفاكهة : أي يطالبون فيهابفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب إيذاناً بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا.

قاصرات الطرف : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرن إلى غيرهم.

أتراب : أي أسنانهن متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة.

ماله من نفاد : أي ليس له انقطاع أبدا.

معنى الآيات:

ما زال السياق في ذكر الأنبياء وما أكرموا به على صبرهم ليكون ذلك مثبتاً للنبي ﷺ على دعوته والصبر عليها والتحمل في سبيل الوصول بها إلى غاياتها فقال تعالى له ﴿واذكر﴾ أي يا نبيّنا

﴿عبادنا﴾ لتتأسى بهم وهم ﴿ابراهيم واسحق﴾[1] وولده ﴿يعقوب﴾ حفيده ﴿أولي﴾ أي أصحاب ﴿الأيدي﴾[2] أي القوى في العبادة والطاعة ﴿والأبصار﴾ أي أبصار القلوب وذلك بالفقه في الدين ومعرفة أسرار التشريع، وقوله تعالى ﴿إنّا أخلصناهم﴾ أي خصصناهم ﴿بخالصة﴾[3] أي بخاصة امتازوا بها هي ذكر الدار أي ذكر الدار الأخرة بالعمل لهاوالدعوة إليها بالإيمان والتقوى، وقوله ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ أي المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خيّر[4] وهو المطبوع على الخير وقوله ﴿واذكر﴾ أي يا نبيّنا للائتساء ﴿اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ وقوله ﴿وكل﴾ أي من داود ومن ذكر بعده من الأنبياء كانوا من الأخيار، وقوله ﴿هذا ذكر﴾ أي لهم بالثناء الحسن لهم في الدنيا، ﴿وان للمتقين﴾[5] هم وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات ﴿لحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الجنة حيث يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وفسر ذلك المرجع بقوله تعالى ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾[6] ﴿متكئين فيها﴾ أي على الأرائك الأسرة بالحجلة، ﴿يدعون فيها﴾ أي يُطالبون فيها ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ ولم يذكر الطعام إشارة إلى أن مآكلهم ومشاربهم لمجرد التلذذ لا للتغذي بها كما في الدنيا، وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يخبر تعالى أن لأولئك المتقين في الجنة قاصرات الطرف أي نساء قاصرات الطرف أي حابسات له على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم من الأزواج وقوله ﴿أتراب﴾ أي في سن واحدة وهي ثلاث وثلاثون سنة. وقوله تعالى ﴿هذا ما توعدون﴾ أي يقال لهم هذا ما توعدون ﴿ليوم الحساب﴾ أي هذا المذكور من النعيم هو ما يعدكم به ربكم يوم القيامة. وقوله ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ أي ليس له انقطاع ولا فناء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وفي الحديث[7] «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».

٢ـ فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائما لأنها تساعد[8] على الطاعة.

---

(١) أما إبراهيم فقد ذكر الله تعالى ما ابتلاه به من إلقائه في النار وكذا يعقوب من فقده ليوسف عليهم السلام وأما اسحاق فلم يذكر له في القرآن ابتلاء ولعله ذكر بين مبتلين وهما أصله وفرعه فكان ذلك ابتلاء له أيضاً.

(٢) جمع يد والمراد بها القوة لا الجارحة نحو والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون.

(٣) قرأ نافع بخالصة ذكر الدار بإضافة خالصة إلى الدار وقرأ حفص بتنوين خالصة فتكون ذكر الدار عطف بيان على خالصة.

(٤) جائز أن يكون الأخيار جمع خير بإسكان الياء وجمع خير بتشديدها مكسورة نحو أموات جمع ميت وميت.

(٥) اللام للاختصاص ليست للملك ولا للتعليل بل للاختصاص إذ هي مختصة بالمتقين دون غيرهم.

(٦) مفتحة منصوب على الحال والأبواب مرفوع بمفتحة لأنه نائب فاعل.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٨) شاهده حديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة «حديث صحيح».

٣ـ فضل التقوى وأهلها وبيان ما أعد لهم يوم الحساب .

٤ـ نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون .

٥ـ فضيلة الائتساء بالصالحين والاقتداء في الخير بهم وهم اولوا القوة في العبادة والبصيرة في الدين .

هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

هذا : أي المذكور للمتقين .

وإن للطاغين : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد .

لشر مآب : أي جهنم يصلونها .

فبئس المهاد : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي .

هذا فليذوقوه : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه .

حميم : أي ماء حار محرق .

وغساق : أي قيح وصديد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار .

وآخر من شكله أزواج : أي وعذاب آخر كالحميم والغساق أصناف .

هذا فوج مقتحم معكم : أي يقال لهم عند دخولهم النار هذا فوج مقتحم معكم.

لا مرحبا بهم : أي لاسعة عليهم ولا راحة لهم إنهم صالو النار.

قالوا أي الاتباع للطاغين : بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا.

قالوا ربنا من قدم لنا هذا : أي الأتباع أي من كان سببا في عذابنا هذا في جهنم فزده عذابا.

وقالوا ما لنا لا نرى رجالا : أي قال الطاغون وهم في النار مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب.

اتخذناهم سخريا : أي كنا نسخر منهم في الدنيا.

أم زاغت عنهم الأبصار : أي أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم.

إن ذلك لحق تخاصم أهل النار : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل النار.

معنى الآيات:

بعد ذكر نعيم أهل الإيمان والتقوى ناسب ذكر شقاء أهل الكفر والفجور وهو اسلوب الترهيب والترغيب الذي امتاز به القرآن الكريم في هداية العباد. فقال تعالى ﴿هذا﴾[1] أي ما تقدم ذكره من نعيم أهل السعادة ﴿وإن للطاغين﴾ وهم المشركون الظلمة كأبي جهل وعتبة بن معيط والعاص بن وائل ﴿لشر مآب﴾ أي لأسوأ مرجع وأقبحه وهو ﴿جهنم يصلونها فبئس[2] المهاد﴾ هي يمهدها الظالمون لأنفسهم. وقوله تعالى ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾[3] أي هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار المحرق والغساق ما سال من جلود ولحوم وفروج الزناة من أهل النار كالقيح والصديد وقوله ﴿وآخر[4] من شكله﴾ أي وعذاب آخر من شكل الأول ﴿أزواج﴾ أي أصناف عديدة وقوله تعالى ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ أي يقال[5] عند دخولهم النار هذا فوج أي فريق مقتحم معكم النار، فيقول الطاغون ﴿لا مرحباً[6] بهم﴾ أي لا سعة ولا راحة لهم ﴿إنهم صالو

---

(١) هذا مستعمل في الانتقال من غرض إلى غرض تثنية للغرض الذي قبله شبيهة بكلمة وبعد.

(٢) الفاء في فبئس المهاد للترتيب والسبب.

(٣) الغساق سائل في جهنم يقال غسق الجرح إذا سال منه ماء أصفر. قرأ الجمهور «غساق بالتخفيف وقرأه حفص وبعض بالتشديد فهما لغتان فيه والتشديد للمبالغة في غاسق وهو أقرب.

(٤) وآخر صفة لموصوف محذوف أي وعذاب آخر من شكله أي من مثله أزواج أي أصناف متعددة.

(٥) يبدو أن القائل هم الزبانية يخاطبون الطغاة وهم يعذبونهم هذا فوج.

(٦) لا مرحباً نفي للكلمة التي يقولها المزور لمن زاره وهي انشاء دعاء للوافد. وهي مصدر بوزن مفعل، والعامل فيه محذوف تقديره أتيت رحبا أي مكاناً ذا رحب، فإذا أرادوا نفيه قالوا لا مرحباً بكم. قال الشاعر:

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلا به ... إذا كان تفريق الأحبة في غد

النار﴾ أي داخلوها محترقون بحرها ولهبها، فيرد الأتباع عليهم قائلين ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم﴾[1] أي لا سعة ولا راحة ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ إذ كنتم تأمروننا بالشرك والكفر والفجور قال تعالى ﴿فبئس القرار﴾ أي الذي انتهى إليه الطاغون وأتباعهم في النار، وقالوا أيضا ما اخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي العذاب ﴿فزده عذابا ضعفا في النار﴾ أي ياربنا ضاعف لهم العذاب مرتين لأنهم هم الذين قدموه لنا يوم كانوا يدعوننا إلى الشرك والباطل ويحضوننا عليه. وقوله تعالى ﴿وقالوا﴾ أي الطغاة ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار﴾[2] بيننا ﴿اتخذناهم﴾[3] في الدنيا ﴿سخريا﴾[4] نسخر منهم يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمّار وصهيب وخبيب، أمفقودون هم ﴿أم زاغت عنهم﴾ أبصارنا فلم نرهم، قال تعالى ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ أي إن ذلك الكلام الذي دار بين أهل النار حق وصدق هو تخاصم أهل النار فاسمعوه أيها المشركون اليوم آيات تتلى وغداً يوم الحساب حقائق تشاهدوه وغصص تتجرع وحسرات تمزق الأكباد والقلوب.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ذم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الظلم والكفر وبيان جزاء أهله يوم القيامة.

٢ـ بيان ما يجري من خصام بين أهل النار للعظة والاعتبار.

٣ـ شكوى الأتباع ممن اتبعوهم في الضلال ومطالبتهم بمضاعفة العذاب لهم.

٤ـ تذكر أهل لنار فقراء المسلمين الذين كانوا يعدونهم متخلفين ورجعيين لأنهم كانوا لا يأتون الفجور والشرور مثلهم.

---

(١) بل للاضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم، وانهم هم أولى به منه، والباء في بهم للبيان فهي بمعنى اللام أي لا مرحبا لهم يستحقونه عندنا.

(٢) جمع شر بمعنى أشر كالأخيار جمع خير بمعنى أخير.

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور أتخذناهم بهمزة الاستفهام وحذفت همزة الوصل والجملة بدل من جملة وما لنا لا نرى رجالا.. أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار، وأم بمعنى بل أي بل زاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم وزاغت بمعنى مالت.

(٤) قرأ نافع سخرياً بضم السين وقرأ حفص بكسرها كما في سورة المؤمنون والسخرة الاستهزاء.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

قل : أي يارسولنا لمشركي قومك أي مخوفاً من عذاب الله .

وما من إله إلا الله الواحد القهار : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار.

العزيز الغفار : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده الغفار للتائبين من عباده .

قل هو نبأ عظيم : أي قل يارسولنا لكفار مكة القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم .

أنتم عنه معرضون : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه .

بالملأ الأعلى : أي بالملائكة عندما شوورُوا في خلق آدم .

إذ قال ربك للملائكة : أي اذكر لهم تدليلا على انه يوحى إليك القرآن إذ قال ربك للملائكة .

خالق بشرا من طين : أي خالق آدم من مادة الطين وقيل فيه بشر لبدُوُّ بشرته .

من روحي : الروح جسم لطيف يسري في الجسم سريان النار في الفحم أو الماء في الشجر أو الكهرباء في الأسلاك .

إلا إبليس : أي لم يسجد .

استكبر : عن السجود لآدم كبراً وحسداً له .

معنى الآيات :

بعد كل ذلك العرض للقصص ولما في الجنة والنار وما تقرر به من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء أمر تعالى رسوله أن يقول لمشركي قريش ﴿إنما أنا منذر﴾[1] أي مخوف من عذاب الله الواجب لكل من كفر به وكذب بآياته ولقاه وترك عبادته وعبد الشيطان عدوه، كما أخبركم مقررا انه ليس هناك من إله قط إلا الله الواحد في ذلته وصفاته وربوبيته وعبادته القهار لكل قاهر والجبار لكل جبار رب السموات والأرض ومابينهما أي مالك لها متصرف فيها دون شريك له في ذلك. العزيز الانتقام ممن كفر به وعصاه الغفار لمن أناب إليه واتبع هداه. وقوله تعالى ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ أي يأمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين من أهل مكة هو أي[2] القرآن وما حواه من تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وعرض القصص والأحداث ووصف الجنة والنار نبأ عظيم أي خبر ذو شأن عظيم أنتم عنه معرضون تأبون سماعه والإيمان به والاهتداء بهديه. بدعوى أني اختلقته وافتريته وهي حجة داحضة وأدلتكم في ذلك واهية. كيف يكون ما اتلوه عليكم من القرآن افتراء منّي عليكم وعلى الله ربي وربكم. وانه ما كان لي من[3] علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون[4] عندما قال الله للملائكة ﴿إني خالق بشراً من طين﴾ وقال ﴿أني جاعل في الأرض خليفة﴾ فقال الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ كيف عرفت أنا هذا وحدثت به لو لم يكن وحياً من الله أوحاه إليَّ. يا قوم إنه ما يوحى إليَّ إلا انما أنا نذير مبين أي

---

(١) في هذه الآيات الثلاث الترهيب والترغيب ببيان قدرة الله وجبروته وبيان ربوبيته الموجبة للألوهية المستلزمة لمغفرته ورحمته لمن تاب إليه بتوحيده وطاعته بعد الإيمان به وبرسوله ولقائه.

(٢) كون النَّبأ هو القرآن هذا ما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله تعالى، ومن فسره بما سبق ذكره من الانذار وما عرض من أحوال أهل الجنة وأهل النار فإن ما في التفسير شامل لكل ذلك وهادٍ إليه ودال عليه والحمد لله.

(٣) قوله تعالى: ما كان لي من علم الخ استئناف لأجل الاستدلال على صدق القرآن بأنه وحي من الله تعالى ولولا انه وحي لما كان للرسول علم به لا إجمالاً ولا تفصيلا ولهذا الاستدلال نظائر نحو وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم، وما كنت لديهم إذ يختصمون، وما كنت لديهم إذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون، وما كنت بجانب الطور إذ نادنيا.

(٤) قال بعض المفسرين تخاصم الملأ الأعلى هو اشراف قريش فيما بينهم سرا وقال آخرون هو تخاصم أهل النار وقيل والصواب ما في التفسير وهو أن الملأ الأعلى الملائكة وما جرى بينهم في شأن السجود لأدم وامتناع ابليس عن ذلك وفي الآية بعد تفسير هذا الاختصام وأما حديث السنن فلم يرد به ما في هذه الآيات ونصه «إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدري يا رب ـ أعادها ثلاثاً ـ فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت في الكفارات. قال وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال سل قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك هذا «حديث المنام».

بيِّن النذارة. فلم يوح إليَّ الأمر بالتسلط عليكم وأخذكم بالشدة لأستعبدكم وتكونوا خولا لي وخدماً لا، لا. إنما يوحى إليَّ لتقرير حقيقة واحدة وهي أني نذير لكم ولغيركم من عذاب الله المعدّ لمن كفر به وأشرك في عبادته، وفسق عن طاعته. وقوله تعالى في الآية (٧١) ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ هو آدم عليه السلام ﴿فإذا سويته﴾ أي أتممت خلقه ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فحيي وصار بشراً سوياً ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أي خروا على الأرض ساجدين له طاعة لأمرنا وتحيّة لعبدنا، ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ سواء من كان منهم في السموات أو في الأرض ﴿إلا إبليس﴾ استكبر عن السجود لآدم لزعمه الكاذب أنه خير منه لكونه من النار وآدم من طين، ولحسده أيضا حيث فضله وفُضِّل عليه، وكان بذلك الكبر والحسد من الكافرين إذ جحد معلوما من طاعة الله بالضرورة وكيف وهو يتلقى الخطاب من الله تعالى بلا واسطة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد بأدلته.

٢- تقرير النبوة والوحي بشواهده من نبأ الملأ الأعلى.

٣- عداوة إبليس لآدم وأن الحامل عليها الحسد والكبر وهما من شر صفات العبد.

٤- تقرير أن من القياس ما هو شر وباطل كقياس إبليس إذ قاس النار على التراب فرأى أن النار أفضل فهلك بذلك، إذ التراب أفضل النار تحرق والتراب يحيي، وشتان ما بين الموت والحياة.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾
قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

لما خلقت بيديّ : أي للذي خلقته بيديَّ وهو آدم فدل ذلك على شرفه .

استكبرت أم كنت من العالين : استكبرت الآن أم كنت من قبل من العالين المتكبرين والاستفهام للتوبيخ . والتقريع لإبليس.

فاخرج منها : أي من الجنة .

فإنك رجيم : أي مرجوم مطرود .

وأن عليك لعنتي إلى يوم الدين : أي طرده من الجنة وألحقه لعنة وهي الطرد من الرحمة إلى يوم الدين أي الجزاء وهو يوم القيامة .

قال رب فانظرني : أي أخر موتي وأبق عليَّ حيًا إلى يوم يبعثون أي الناس .

إلى يوم الوقت المعلوم : أي إلى النفخة الأولى وهي نفخة الموت والفناء .

إلا عبادك منهم المخلصين : أي الذين استخلصتهم للإيمان بك وعبادتك ومجاورتك في الجنة .

قل ما أسألكم عليه من أجر : لا أسألكم على البلاغ أجراً تعطونه لي .

وما أنا من المتكلفين : أي المتقولين القرآن وما أنذركم به من تلقاء نفسي .

إن هو إلا ذكر للعالمين : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين .

ولتعلمن نبأه بعد حين : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين .

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في ذكر ما دار بين الربّ تعالى وعدوه إبليس من حديث في الملأ الأعلى إذ قال تعالى بعد أن امتنع إبليس من السجود لآدم ﴿ياإبليس مامنعك أن[1] تسجد لما خلقتُ بيديَّ[2]﴾ أي أيُّ شيء جعلك تمتنع من السجود لآدم وقد أمرتك بذلك ﴿أستكبرت﴾ أي الآن ﴿أم كنت﴾ من قبل ﴿من العالين[3]﴾ أي المستكبرين, وهذا الاستفهام من الله تعالى توبيخ لإبليس وتقريع له. وأجابه إبليس بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ فاستعمل اللعين القياس الفاسد المردود عند أرباب العقول، إذ النار لم تكن أبداً خيرا من الطين، النار تحرق ونهايتها رماد، والطين لا يحرق ومنه سائر أنواع المغذيات التي بها الحياة الحبوب والثمار والفواكه والخضر واللحوم وحسبه أنه أصل الإنسان ومادة خلقته. فأيُّ شرف للنّار أعظم لو كان اللعين يعقل. وهنا قال تعالى له ﴿فاخرج منها﴾ أي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ أي مطرود مبعد لا ينبغي أن تبقى في رحمة الله، ﴿وأن عليك لعنتي﴾ لا تفارقك على مدى الحياة وهي بُعد من رحمتي طوال الحياة.

وهنا قال اللعين لما آيس من الرحمة ﴿ربِّ فانظرني﴾ أي ابق عليَّ حيًّا لا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ حتى يتمكن من إغواء بني آدم، ولا يموت إذا ماتوا في النفخة الأولى فلا يذوق هو الموت وعلم الله ما أضمره في نفسه فرد عليه بقوله ﴿فإنك من المنظرين﴾ أي الممهلين المبقى على حياتهم ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ وهو النفخة الأولى حتى يموت مع سائر الخلائق ولما علم اللعين أنه أنظر قال في صفاقة وجه ووقاحة قول مقسماً بعزة الله ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فاستثنى اللعين عباد الله المؤمنين المتقين الذين استخلصهم الله لطاعته وجواره في دار كرامته. وهنا قال تعالى ردا على اللعين ﴿قال فالحق[4]﴾ أي أنا الحق ﴿والحق أقول﴾ ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم﴾ أي من الإنس والجن أجمعين. وإلى هنا انتهى ما دار من خصومة في الملأ الأعلى، وكيف عرف محمد ﷺ هذا وأخبر به لولا انه

---

(١) ذكر صاحب تفسير التحرير أن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة معللاً ذلك بعدم أهلية إبليس بعد إبلاسه لذلك لما فيه من الشرف والكمال ولم أقف على من رأى هذا الرأي غيره والله أعلم بصحته أو خطأه.

(٢) في قوله بيدي إثبات صفة اليدين لله تعالى وقد وردت أحاديث صحيحة تقرر ذلك وتثبته فوجب الإيمان بهذه الصفة الذاتية لله تعالى مع تنزيهه تعالى أن يكون يداه تشبه يدي من له يدان من خلقه لأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

(٣) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى من العالين أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل فلذا امتنعت من السجود لآدم عليه السلام.

(٤) قرأ الجمهور قال فالحق بنصب الحق على أنه مفعول مطلق تقديره أحق الحق، وقرأ حفص بالرفع على تقدير فالحق قولي، أو انا الحق أي على الابتداء، وأما الحق الثاني فهو منصوب إجماعاً لفعل أقول.

وحيّ يوحى إليه. وهنا قال تعالى لرسوله قل لقومك المكذبين برسالتك ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على البلاغ ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين[1]﴾ الذين يتقولون على الله ويقولون ما لم يقل ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ من الإنس والجن يذكرون به فيؤمنون ويهتدون ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ أي ولتعرفن صدق ما أخبر به من وعد ووعيد وصلاحية ما تضمنه من تشريع بعد حين، وقد عرف بعضهم ذلك يوم بدر، ويوم الفتح، ويوم موته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ ذم الكبر والحسد وحرمتهما وبيان جزائهما.

٢ـ مشروعية القياس إن كان قياسا صحيحا، وبيان اخطار القياس الفاسد.

٣ـ مشروعية القسم بالله وبصفاته وأسمائه.

٤ـ بيان أن من كتب الله سعادتهم لا يقوى الشيطان على اغوائهم وإضلالهم.

٥ـ لا يجوز أخذ الأجرة على بيان الحق والدين.

٦ـ ذم التكلُّف[1] المفضي إلى الكذب والتقول على الله وعلى الرسول والمؤمنين.

٧ـ ظهر مصداق ما أخبر به القرآن بعد حين قصير وطويل.

---

(١) التكلف: معالجة الكلفة وهو ما يشق على المرء عمله أو علمه أو قوله لعدم قدرته على ذلك روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم، ولا يتكلف، فإن قوله لا أعلم علم وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾. روى أن للمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى مالا ينال، ويقول مالا يعلم. وروى الدارقطني أن النبي ﷺ مر في بعض أسفاره على رجل جالس على مقراة له. وقال له عمر ياصاحب المقراة اولَغَتْ السباع الليلة في مقراتك(*)؟ فقال له النبي ﷺ يا صاحب المقراة لا تخبره، هذا متكلف، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور، كما روى مالك في الموطأ أن عمر خرج في ركب معهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضاً فقال عمرو بن العاص يا صاحب الحوض هل ترد السباع حوضك؟ فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فإنا نرد على السباع وترد علينا.

(*) المقراة: الحوض يجمع فيه الماء.

سُورَةُ الزُّمَرِ[1]

مكيـة

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)

شرح الكلمات:

تنزيل الكتاب : أي القرآن من الله .

العزيز الحكيم : أي العزيز في مُلكه وانتقامه الحكيم في صنعه وتدبير خلقه .

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحداً .

لله الدين الخالص : أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه .

أولياء : أي شركاء وهي الأصنام .

ليقربونا إلى الله زلفى : أي تقريباً وتشفع لنا عند الله .

من هو كاذب كفار : أي كاذب أي على الله كفار بعبادته غير الله تعالى .

سبحانه : أي تنزيها له عن الولد والشريك .

---

(١) سميت بالزمر لذكر لفظ الزمر فيها ولم يذكر في غيرها قط والزمر جمع زمرة وهي الفوج المتبوع بفوج آخر.

هو الله الواحد القهار : أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه القهار لخلقه.

معنى الآيات :

تنزيل الكتاب[1] من الله العزيز الحكيم يخبر تعالى ان تنزيل القرآن كان منه سبحانه وتعالى وهو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه. ولم يكن عن غيره بحال من الأحوال وقوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾[2] يخبر تعالى رسوله بقوله[3] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن العظيم ﴿بالحق﴾ في كل ما جاء فيه ودعا إليه من العقائد والعبادات والأحكام وعليه ﴿فاعبد[4] الله مخلصاً له الدين﴾ أي العبادة فلا تعبد معه غيره فإن العبادة لا تصلح لغيره أبداً ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾[5] أي شركاء يعبدونهم ويقولون ﴿ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي تقريبا ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا هؤلاء يحكم الله بينهم في ما هم فيه مختلفون مع المؤمنين الموحدين وذلك يوم القيامة وسيجزي بعدله كلا بما يستحقه من إنعام وتكريم أو شقاء وتعذيب. وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ يخبر تعالى بحرمان أناس من هدايته وهم الذين توغلوا في الفساد فكذبوا على الله تعالى وعلى عباده وأصبح الكذب وصفاً لازما لهم، وكفروا وبالغوا في الكفر بالله وآياته ورسوله ولقائه فأصبح الكفر وصفاً ثابتاً لهم، إذ هذه سنته في حرمان العبد من الهداية ليمضي فيه حكم الله باشقائه وتعذيبه يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما يزعم المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله، وكما قال النصارى المسيح ابن الله، وكما قال اليهود عزير بن الله، ولو أراد الله أن يكون له ولدٌ لاصطفى واختار مما يخلق ما يشاء، ولا يتركهم ينسبون إليه الولد افتراء عليه وكذبا، ولكنه تعالى منزه عن صفات المحدثين وافتقار المخلوقين إذ هو الله ذو الألوهية على سائر خلقه الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه وحكمه القهار لسائر خلقه فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه.

---

(١) تنزيل الكتاب، أي القرآن ـ جائز أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ والخبر من الله وجائز أن يكون تنزيل خبر والمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل.

(٢) بالحق الباء للملابسة أي ملابساً للحق فلا باطل معه.

(٣) فيه تقرير نبوته ﷺ والإعلان عن شرفه بإنزال الكتاب عليه.

(٤) الفاء للتفريع، أي فبناء على إنزالنا عليك الكتاب فاعبد الله، ومخلصاً حال، والدين العبادة، وإخلاص العبادة تجريدها من الالتفات إلى غير الله تعالى لطلب مدح أو نفع أو دفع مكروه أو اتقاء ذم.

(٥) ألا لله الدين الخالص افتتاح الجملة بألا للتنبيه على شرف ما دخلت عليه والتنويه به اللام في لله للملك والاستحقاق وفي الآية دليل على وجوب الإخلاص في العبادة ووجوب النية فيها ولا عبادة بدون نية صحيحة ولا يضر النية الخاطر يخطر بالقلب لا يملك المرء دفعه.

هداية الآيت:

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- تقرير التوحيد.

٣- بطلان الشرك والتنديد بالمشركين.

٤- تقرير البعث والجزاء يوم القيامة.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات:

خلق السموات والأرض بالحق: أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو العبث.

يكور الليل على النهار: أي يدخل أحدهما في الآخر فإذا جاء الليل ذهب النهار والعكس كذلك.

وسخر الشمس والقمر : أي ذللهمـا فلا يزالان يدوران في فلكيهما إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض.

خلقكم من نفس واحدة : هي آدم عليه السلام.

ثم جعل منها زوجها : هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

وأنزل لكم من الأنعام : أي أنزل المطر فأنبت العشب فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها.

ثمانية أزواج : أي من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين.

يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق: أي أطواراً طوراً بعد طور نطفة فعلقة فمضغة.

في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة.

ولا تزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى.

إنه عليم بذات الصدور : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره.

معنى الآيات:

هذه الآيات الكريمة في تقرير التوحيد بذكر الأدلة والبراهين التي لا تدع للشك مجالاً في نفوس العقلاء فقال تعالى في الآية (٥) ﴿خلق السموات والأرض﴾[١] أي أوجدهما خلقا على غير مثال سابق وخلقهما بالحق لغايات سامية شريفة وليس للباطل والعبث ومن تلك الغايات أن يعبد فيها فيذكر ويشكر. وقوله ﴿يكور[٢] الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ أي يغشى هذا هذا فيغطيه به ويستره كأنما لفّه عليه وغشاه به وهذا برهان ثان فالأول برهان الخلق للسموات والأرض وبرهان ثالث في قوله ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل[٣] مسمى﴾ يدوران في فلكيهما إلى قيام الساعة وفي ذلك من الفوائد والمصالح للعباد مالا يقادر قدره من ذلك معرفة عدد السنين والحساب. وقوله ﴿ألا هو العزيز الغفار[٤]﴾ إعلان وتنبيه بأنه تعالى عزيز في بطشه وانتقامه من أعدائه غفّار لعباده التائبين إليه. وقوله تعالى في الآية (٦) ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام فقد صح أنه

---

(١) هذه الجملة بيان لجملة هو الله الواحد القهار.

(٢) وهذه الجملة بيان ثانٍ أيضاً وحقيقة التكوير أنه اللف واللي يقال كور العمامة على رأسه إذا لفها ولوّاها وهذا تمثيل بديع لتعاقب الليل والنهار.

(٣) كل التنوين للعوض أي كل واحد منهما يجري لأجل مسمى هو أجل فنائهما.

(٤) استئناف ابتدائي وجملة فإنكم الخ استدلال على صفة العزة والمغفرة في العزيز الغفار.

لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ذرّيته وأشهدهم على أنفسهم، ولهذا جاء العطف بثم ﴿إذ قال خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها﴾ أي بعد أن مسح على ظهر آدم وأخرج ذرّيته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم خلق حواء من ضلعه الأيسر، وهذا برهان وآخر في قوله ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ضأن وماعز وهي ذكر وأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج فهي ثمانية أزواج وجائز أن يكون أصل هذه الأنعام قد أنزله من السماء كما أنزل آدم وحواء من السماء، وجائز أن يكون أنزل الماء فنبت العشب وتكونت هذه الأنعام من ذلك فالأصل الإنزال[1] من السماء وتدرج الخلق كان في الأرض. وبرهان رابع في قوله ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق﴾[2] أي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم نكسو العظام لحماً فإذا هو إنسان كامل وقوله ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي ظلمة بطن الأم، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، وهي غشاء يكون للولد وفي الحيوان يقال له السُّلي وقوله بعدذ كر هذه البراهين قال ﴿ذلكم الله[3] ربكم﴾ أي خالقكم ومعبودكم ﴿الحق له الملك لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود إلا هو إذ لا تصلح العبـادة إلاّ له ﴿فـأنى[4] تصرفون﴾ أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال إن أمركم عجبٌ. وقوله في الآية (٧) ﴿إن تكفروا فإن الله غنيٌ عنكم﴾ أي بعد أن بيّن بالأدلة القاطعة وجوب الإيمان به ووجوب عبادته، وأنه الرب الحق وإله الحق أعلم عباده أن كفرهم به لا يضره أبدا لأنه غنيٌ عنهم وعن سائر خلقه إلا أنه لرحمته بعباده لا يرضى لهم الكفر لما يسببه لهم من شقاء وخسران، كما انهم إن آمنوا وشكروا يرضه لهم فيثيبهم أحسن ثواب ويجزيهم أحسن جزاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ هذا مظهر من مظاهر عدله بين عباده وهو أن نفسا ذات وزر أي ذنب لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل نفس تحمل وزرها وتتحمل تبعته ونتائجه وحدها. وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي بعد الموت ﴿فينبئكم

---

(١) ووجه ثالث وهو جائز أن يكون الانزال بمعنى التسخير نحو وأنزلنا الحديد أي ذللناه لكم تصنعون منه السيوف والرماح وهذا كقولك نزل فلان على رأي فلان قال الشاعر:

أنزلني الدهر على حكمه من شاهق عالٍ إلى خفض

(٢) أي طوراً بعد طور لقوله ﷺ «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بكتب أربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي او سعيد» الحديث «مسلم».

(٣) هذه الجملة كالفذلكة والنتيجة لما سبق من ذكر آيات العلم والقدرة والرحمة الموجبة للألوهية الحقة للرب الحق سبحانه وتعالى.

(٤) فأنى تصرفون الاستفهام للانكار مشوباً بالتعجب من حال انصرافهم عن الحق بعد ظهور أدلته وسطوع براهينه، عجبا لكم كيف صرفتم وبنـاء الفعل للمجهول إشارة واضحة إلى انهم يصرفون بقوى غير قواهم وهي قوى الشياطين التي تزين لهم الباطل وتبغض لهم الحق.

بما كنتم تعملون﴾ أي فيخبركم بأعمالكم خفيها وجليها صغيرها وكبيرها ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فضلا عما كان عملا ظاهراً غير باطن ويجزيكم بذلك الخير بمثله والشر بمثله . فهذا ربكم الحق وإلهكم الصدق فآمنوا به ووحدوه ولا تشركوا به وأطيعوه ولا تعصوه تنجوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة . ولا يهلك على الله إلا هالك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيانآيات الله في الكون وإيرادها أدلة على التوحيد .

٢ـ بيان إفضال الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم .

٣ـ بيان أن الكفر أعجب من الإيمان إذ أدلة الإيمان لا تعد كثرة وأما الكفر فلا دليل عليه البتة ومع هذا أكثر الناس كافرون .

٤ـ بيان غنى الله تعالى عن خلقه وافتقار الخلق إليه .

٥ـ بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة وتقريرها .

٦ـ بيان إحاطة علم الله بالخلق وعلمه بأفعالهم وأحوالهم ظاهراً وباطناً .

۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

وإذا مس الإنسان : الإنسان أي المشرك .

ضرٌ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه .

دعا ربه منيبا إليه : أي سأل ربّه كشف ما أصابه من ضر راجعا إليه معرضا عمن سواه.

إذا خوله نعمة منه : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضر.

نسى ما كان يدعو إليه من قبل : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله سبحانه وتعالى.

وجعل لله أنداداً : أي شركاء.

ليضل عن سبيله : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام.

قل تمتع بكفرك قليلا : أي قل يا نبيّنا لهذا الكافر الضال المضل تهديداً تمتع بكفرك بقية أجلك.

إنك من أصحاب النار : أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم.

قانت آناء[1] الليل : أي مطيع لله آناء الليل أي ساعات الليل ساجدا وقائما في الصلاة.

إنما يتذكر أولوا الألباب : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيِّرة.

معنى الآيات:

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد، فقال تعالى مخبراً عن حال المشرك بربه المتخذ له أنداداً يعبدها معه ﴿وإذا مسّ الإنسان[2] ضرّ دعا ربّه منيبا إليه﴾ أي سأل ربّه راجعا إليه رافعا إليه يديه يا رباه يا رباه سائلا تفريج مابه وكشف مانزل به ﴿ثم إذا خوله[3] نعمة منه نسي ماكان يدعو إليه من قبل﴾ حتى إذا فرَّج الله كربه ونجاه، ترك دعاء الله، وأقبل على عبادة غير الله، ﴿وجعل لله أندادا﴾ أي شركاء ﴿ليضل[4]﴾ نفسه وغيره. وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول له نيابة عن الله تعالى قل يارسولنا لهذا المشرك الكافر تمتع بكفرك قليلا أي مدة بقية عمرك إنك من أصحاب النار، هكذا هدده ربّه وخوفه بعاقبة أمر الشرك والتنديد لعله ينتهي فيتوب توبة صادقة ويرجع إلى الله رجوعاً حسناً

---

(١) الآناء جمع أنىً مثل أمعاء ومَعىً وأقفاء وقفىً والأنى الساعة.

(٢) الإنسان هنا اسم جنس دال على غير معين بل هو عام في كل مشرك بالله تعالى كافر به.

(٣) قوله اعطاه إذ التخويل الإعطاء والتمليك دون قصد عوض مأخوذ من الخول وهو اسم للعبد والخدم وفي الحديث إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم «الحديث».

(٤) اللام لام العاقبة، أي هو لم يقصد إضلال نفسه.

جميلا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية الثانية (٩) فيقول تعالى ﴿أمنْ هو قانت﴾[1] أي مطيع لله ورسلوه في أمرهما ونهيهما ﴿آناء الليل﴾ أي ساعات الليل تراه ساجداً في صلاته أو قائماً يتلو آيات الله في صلاته، وفي نفس الوقت هو يحذر عذاب الآخرة ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربّه وهي الجنة أن يجعله الله من أهلها أهذا خير أم ذلك الكافر الذي قيل له تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، والجواب معلوم للعقلاء[2] وقوله تعالى ﴿هل يستوى الذين يعلمون﴾ محاب الله ومكارهه وهم يعملون على الإتيان بمحابّ الله تقرباً إليه، وعلى ترك مكارهه تحبُباً إليه، هل يستوى هؤلاء العاملون مع الذين لا يعلمون ما يحب وما يكره فهم يتخبطون في الضلال تخبط الجاهلين؟ والجواب لا يستوون وإنما يتذكر بمثل هذا التوجيه الإلهي والإرشاد الرباني أصحاب الألباب أي العقول السليمة الراجحة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

٢- الكشف عن داخلية الإنسان قبل أن يؤمن ويُسلم وهو أنه إنسان متناقض لا خير فيه ولا رشد له، فلا يرشد ولا يكمل إلا بالإيمان والتوحيد.

٣- بشرى الضالين عن سبيل الله المضلين عنه بالنار.

٤- مقارنة بين القانت المطيع، والعاصي المضل المبين، وبين العالم والجاهل، وتقرير أفضلية المؤمن المطيع على الكافر العاصي. وأفضلية العالم بالله وبمحابه ومكارهه والجاهل بذلك.

٥- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه ولولا العمل بالعلم لاستويا في الخسّة والانحطاط.

قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

(١) قرأ نافع امن هو قانت بتخفيف الميم - وقرأ حفص أمن بتشديدها وجائز ان تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر مقدر نحو أمن هو قانت افضل أم من هو كافر وعلى قراءة التشديد فالهمزة للاستفهام وآمن كلمتان أم المعادلة ادغمت في من المبتدأ وجائز ان تكون أم منقطعة لمجرد الإضراب الانتقالي.

(٢) وهو انهما لا يستويان بحال من الأحوال.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

اتقوا ربكم : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى.

للذين أحسنوا : أي أحسنوا العبادة.

حسنة : أي الجنة.

أرض الله واسعة : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم.

أمرت : أي أمرني ربّي عز وجل.

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعباده.

أول المسلمين : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها

عذاب يوم عظيم : أي عذاب يوم القيامة.

قل : أي يارسولنا للمشركين.

الله أعبد : أي لا أعبد معه سواه.

مخلصا له ديني : أي مفرداً إياه بطاعتي وانقيادي.

فاعبدوا ما شئتم : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم من الأوثان فإنكم خاسرون.

خسروا أنفسهم : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار.

وأهليهم : أي الحور العين اللائي كن لهم في الجنة لو آمنوا واتقوا بفعل الطاعات وترك المنهيات

ظلل من النار : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم.

ذلك : أي المذكور من عذاب النار.

يا عباد فاتقون : أي يا من أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون فلذلك اتقون بالإيمان والتقوى.

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات الخمس توجيهات وإرشادات ربانيّة للمؤمنين والرسول ﷺ ففي الآية الأولى (١٠) يأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين اتقوا ربكم أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وذلك بطاعته وطاعة رسوله، ويُعلمهم معللا أمره إياهم بالتقوى بأن للذين أحسنوا الطاعة المطلوبة منهم الجنة، كما يعلمهم أنهم إذا لم يقدروا على الطاعة بين المشركين فليهاجروا إلى أرض يتمكنون فيها من طاعة الله ورسوله فيقول ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي فهاجروا فيها ويشجعهم على الهجرة لأجل الطاعة فيقول ﴿إنما يوفّى الصابرون[١]﴾ أي على الاغتراب والهجرة لأجل طاعة الله والرسول ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أي بلا كيل ولا وزن ولا عد وذلك لأنه فوق ذلك. وفي الآية الثانية (١١) والثالثة (١٢) يأمر تعالى رسوله موجها له بأن يقول للناس ﴿أني أُمرت﴾ أي أمرني ربي أن أعبد الله باعتقاد وقول وفعل ما يأمرني به وترك ما ينهاني عنه من ذلك مخلصا له الدين، فلا اشرك في دين الله أحداً أي في عبادته أُحداً، كما أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة أي أوّل من يسلم قلبه وجوارحه الظاهرة والباطنة لله تعالى وفي الآيات الرابعة (١٣) والخامسة (١٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين إني أخاف إن عصيت ربي، فرضيت بعبادةغيره وأقررتها عذاب يوم[٢] عظيم كما يأمره أن يقول اللهَ أعبدُ أي الله وحده لا شريك له أعبد حال كوني مخلصا له ديني. وأما انتم أيها المشركون إن أبيتم التوحيد فاعبدوا ما شئتم[٣] من آلهة دونه تعالى ويأمره أن يقول لهم إن الخاسرين بحق ليسوا أولئك الذين يخسرون دنياهم فيفقدون الدار والبعير أو المال والأهل والولد بل هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم[٤] القيامة، وذلك

---

(١) وفسر بعضهم الصبر بالصوم وحقاً الصوم من الصبر وحسب الصوم اجراً أن يقول الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به». الا أن الآية عامة في الصبر في مواطنه الثلاث وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء. ومن ذلك الهجرة إلى دار الإسلام.

(٢) ذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ولا معنى لهذا النسخ إذ النسخ لا يكون في الاخبار. وانما الآية من باب الفرض والتقدير إذ الرسول معصوم ولا يعصي وإذاً لا خوف عليه وإنما من باب طلب الهداية للآخرين قال له قل هذا.

(٣) الأمر هنا للتهديد والوعيد والتوبيخ وليس للإذن بعبادة غير الله إذ القرآن كله نزل ليعبد الله تعالى وحده ولا يعبد معه سواه فكيف يأذن بعبادة ما شاءوا من آلهة.

(٤) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما من أحد إلا وخلق الله له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله. وهو كذلك لقوله تعالى أولئك هم الوارثون أي يرث المسلم الكافر يرثه في أهله ومكانه في الجنة وسبب الإرث الإيمان والتقوى بإذن الله تعالى.

بتخليدهم في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور العين المعدة لهم في الجنة لو أنهم آمنوا واتقوا. ألا ذلك أي هذا هو الخسران المبين ثم يوضح ذلك الخسران بالحال التالية وهي أن لهم وهم في النار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل أي طبقات من فوقهم طبقة ومن تحتهم أخرى وكلها دخان ولهب وحر وأخيراً قوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الخسران وعذاب الظلل يخوف الله تعالى به عباده المؤمنين ليواصلوا طاعتهم وصبرهم عليها فينجوا من النار ويظفروا بالجنان وقوله يا عباد فاتقون أي يا عبادي المؤمنين فاتقون ولا تعصون يحذرهم تعالى نفسه، والله رءوف بالعباد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ بيان عناية الله تعالى برسوله والمؤمنين إذ أرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم.

٢ـ وجوب التقوى والصبر على الأذى في ذلك.

٣ـ تقرير التوحيد بأن يعبد الله وحده.

٤ـ فضل الإسلام وشرف المسلمين.

٥ـ تقرير البعث والجزاء بيان شيء من أهوال الآخرة وعذاب النار فيها.

٦ـ كل خسران في الدنيا إذا قيس بخسران الآخرة لا يعد خسراناً أبداً.

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات:

والذين اجتنبوا الطاغوت[1] أن يعبدوها : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله.

وأنابوا إلى الله : أي بالايمان به وعبادته وتوحيده فيها.

لهم البشرى : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور.

فيتبعون أحسنه : أي أوفاه وأكمله وأقربه إلى مرضاة الله تعالى.

أولوا الألباب : أي العقول السليمة.

أفمن حق عليه كلمة العذاب : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالى لأملأن جهنم.

أفأنت تنقذ من في النار : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها.

لكن الذين اتقوا ربهم : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك.

تجري من تحتها الأنهار : أي من خلال قصورها وأشجارها.

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً فهو منجزه لهم.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى حال أهل النار من عبدة الأوثان وأن لهم من فوقهم ظللا من النار ومن تحتهم ظللا ذكر تعال حال الذين اجتنبوا تلك الطواغيت فلم يعبدوها، وما أعد لهم من النعيم المقيم فجمع بذلك بين الترهيب والترغيب المطلوب لهداية البشر وإصلاحهم فقال عز وجل ﴿والذين اجتنبواالطاغوت﴾أي أن يعبدوهاوهي الأوثان وكل مازين الشيطان عبادته ودعا الناس إلى عبادته وأضافوا إلى اجتناب الطاغوت الإنابة إلى الله تعالى بعبادته وتوحيده فيها هؤلاء لهم البشرى وهي في كتاب الله وعلى[2] لسان رسول الله ويرونها عند نزول الموت وفي القبر وفي الحشر وكل هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ يأمر تعالى رسوله أن يبشر صنفاً من عباده بما بشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا

---

(١) الطاغوت مصدر أو اسم مصدر فعله طغا وهل هو واوي أو يائي خلاف والأشهر أنه واوي نحو طغا طغواً كعلا يعلو علواً وقولهم الطغيان دال على أنه يائيٌ وتاؤه زائدة كما زيدت في رحموت وملكوت وقيل هو اسم أعجمي كجالوت وطالوت.

(٢) شاهده قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ (البقرة) ومن السنة قوله ﷺ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له في بيان قوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ من سورة يونس ومن القرآن ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فهذه عند الموت.

إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله فيتبعون أحسن ما يسمعون[1]، ويتركون حسنه وسيئه معاً فهؤلاء لهم هممم عالية ونفوس تواقة للخير والكمال شريفة فاستوجبوا بذلك البشرى على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من ربّ العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ فحسبهم كمالاً أن اثنى تعالى عليهم . اللهم اجعلني منهم ومن سأل لي وله ذلك. وقوله ﴿أفمن[2] حق عليه كلمة العذاب﴾ أي وجب له العذاب قضاءً وقدراً فأسرف في الكفر والظلم والإجرام والعدوان كأبي جهل والعاص بن وائل فأحاطت به خطيئاته فكان من أصحاب النار فهل تستطيع أيها الرسول انقاذه من النار وتخليصه منها؟ والجواب لا . إذاً فهون على نفسك واتركهم لشأنهم وما خلقوا له وحكم به عليهم. وقوله تعالى ﴿لكن الذين اتقوا﴾ فآمنوا وعملوا الصالحات لهم غرف في الجنة من فوقها غرف وهي العلية تكون فوق الغرفة تجرى من تحتها الأنهار من تحت القصور والأشجار انهار الماء واللبن والعسل والخمر. وقوله ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تعالى بها وعداً حقاً فهو منجزه لهم إذ هو تعالى لا يخلف الميعاد.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ كرامة زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي إذ هذه الآية تعنيهم فقد رفضوا عبادة الطاغوت في الجاهلية قبل الإسلام ثم أنابوا إلى ربهم فصدقت الآية عليهم.

٢ـ فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء.

٣ـ إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار أزلاً لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل.

٤ـ بيان ما أعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى من نعيم الجنة وكرامة الله لأهلها.

---

(١) جائز أن يراد بكلمة أحسن حسنه فهم يستمعون القول من قائله ويفهمونه فإن كان حقاً وهدى أخذوا به وإن كان باطلا وضلالا تركوه وابتعدوا عنه. فقد روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص جاءوا إلى أبي بكر حين أسلم فأخبرهم بإيمانه فآمنوا.

(٢) الاستفهام الأول والثاني كلاهما إنكاري ينكر الله تعالى على رسوله حزنه وألمه على عدم إيمان عمه أبي لهب وولده ومن لم يؤمن من قرابته ممن وجبت لهم النار في سابق علم الله فهم لا يؤمنون، ولذا فرع عنه قوله أفأنت تنقذ من في النار؟ إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

فسلكه ينابيع في الأرض : أي أدخله في الأرض فصار جاريا تحتها ينبع منها فكان بذلك ينابيع .

مختلفا ألوانه : أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر وأنواعه من بر وشعير وذرة .

ثم يهيج فتراه مصفرا : أي ييبس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرا .

ثم يجعله حطاما : أي فتاتا متكسرا .

إن في ذلك لذكرى أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون حطاما تذكيرا .

أفمن شرح الله صدره للإسلام : أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد؟ .

فهو على نور من ربّه : أي فهو يعيش في حياته على نور من ربّه وهو معرفة الله وشرائعه .

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله : ويل كلمة عذاب للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن به ولم تعمل بما فيه.

أحسن الحديث كتابا : هو القرآن الكريم.

متشابها : أي يشبه بعضه بعضا في النظم والحسن وصحة المعاني.

مثاني : أي ثنّى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام.

تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم : أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر وعيده.

ثم تلين جلودهم وقلوبهم : أي تطمئن وتلين.

إلى ذكر الله : أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من نعيم مقيم.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ألم تر﴾ هذه الآية الكريمة تقرر التوحيد والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم الإلهيين، وهما مقتضيان لوجود الله أولا ثم وجوب الإيمان به وبلقائه فقال تعالى مخاطبا رسوله ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾[1] وهو المطر ﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ أي أدخله فيها وأخرجه منها ينابيع بواسطة حفر وبدونه، ثم يخرج به زرعاً من قمح وشعير وذرة وغيرها مختلفا ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر ﴿ثم يهيج﴾ حسب سنة الله تعالى في ذلك فيجف ﴿فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ أي فتاتا متكسراً كالتبن كل هذا يتم بقدرة الله وعلمه وتدبيره ففيه موعظة وذكرى لأولى القلوب الحيّة تهديهم إلى الإيمان بالله وبآياته ولقائه، ومايستتبع ذلك من الطاعة والتوحيد وقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾[2] أي وسع صدره وفسحه فقبل الإسلام دينا فاعتقد عقائده وعمل بشرائعه فامتثل أوامره واجتنب نواهيه فهو يعيش على نور من ربه ومقابل هذا محذوف اكتفى بالأول عنه وتقديره كمن طبع الله على قلبه وجعل صدره حرجا ضيقا فلم يقبل الإسلام ولم يدخل فيه، وعاش على الكفر والشرك والمعاصي فهو يعيش على ظلمة الكفر ودخن الذنوب

---

(١) تضمنت هذه الآية الكريمة مثالين زيادة على ما دلت عليه بظاهر كلماتها المثال الأول هو أن القرآن الكريم ينزل من عند الله فيحيى الله تعالى به القلوب الميتة فتحيى وتشرق وتبلغ الكمال في الطهر والإشراق. والثاني هو ان حياة الإنسان تبتدىء بنطفة المني فتستقر في الرحم ثم تخرج طفلا ثم يكبر فيصبح شاباً فكهلا ثم يهرم ويهلك. والخطاب صالح لكل من له أهلية النظر.

(٢) شرح الصدر عبارة عن قبول الهدى والاستنارة به، والاستفهام إنكاري ومن مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ضاق صدره بالكفر وغشيته ظلمته فهو لا يعي ولا يفهم ما يقال له وما يدعى إليه من الهدي والخير أي هل حالهما واحدة والجواب لا.

وعفن الفساد والشر. وقوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر[1]﴾ يتوعد الله تعالى بالعذاب أصحاب القلوب القاسية من سماع القرآن وهذه أسوأ حال العبد إذا كان يهلك بالدواء ويضل بالهدى فسماع القرآن الأصل فيه أن يلين القلوب الصالحة للحياة فإذا كانت القلوب ميتة غير قابلة للحياة سماع القرآن زادها موتاً وقسوة، ويدل على هذا قوله ﴿أولئك في ضلال مبين[2]﴾ فهدايتهم متعذرة إذا كان الدواء يزيد في علتهم وآيات الهداية تزيد في ضلالتهم. وقوله تعالى ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾ هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول يوماً لرسول الله ﷺ حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿الله نزّل أحسن الحديث[3]﴾ وهو القرآن ﴿كتابا متشابها﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في حسن اللفظ وصحة المعاني ﴿مثاني﴾ أي يثني فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص، ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي عند سماع آيات الوعيد فيه ﴿ثم تلين جلودهم﴾ إذا سمعوا آيات الوعد ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ إذا سمعوا حججه وأدلته وقوله ﴿إلى ذكر الله﴾ أي القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته ويشهد له قوله تعالى من سورة الرعد ﴿ألا بذكر[4] الله تطمئن القلوب﴾ وقوله تعالى ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ أي ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي انزله وجعله هادياً يهدي به من يشاء هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي. وقوله ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ لما سبق في علم الله ولوجود مانع منع من هدايته كالإصرار والعناد والتقليد. فهذا ليس له من هاد يهديه بعد الله أبداً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر العلم والقدرة الإلهية الموجبة للإيمان به وبرسوله ولقائه.

---

(١) من بمعنى عن لتضمين القساوة في الإعراض والنفور إذ يقال أعرض عن كذا ونفر عنه وذِكْرُ الله هنا القرآن كما في التفسير.

(٢) ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا إذ هو جواب لمن سأل عن قساوة قلوب المتوعدين بالويل فقيل له إنه ضلالهم الواضح المبين.

(٣) روي أن سعد بن أبي وقاص قال قال اصحاب رسول الله ﷺ يوماً لو حدثتنا فأنزل الله: ﴿الله نزل احسن الحديث﴾ وهذا كما قالوا يوماً لو قصصت علينا فنزل: ﴿نحن نقص عليك احسن القصص﴾، وقولهم لو ذكرتنا فنزل: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾، وفي هذا دليل على انه لا يليق بأمة القرآن أن تلهو بالتمثيليات والروايات وأندية اللهو اللعب.

(٤) تقشعر أي تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد وتلين قلوبهم عند سماع آيات الرحمة وتطمئن إلى ذكر الله تعالى يروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت أنا أعلم متى يستجاب لي، وذلك إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي وفاضت عيناي وهو مروي عن ثابت البناني وام الدرداء ان الوجل في القلب كاحتراق السعفة.

٢ـ بيان أن القلوب قلبان قلب قابل للهداية وآخر غير قابل لها.

٣ـ بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

٤ـ فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين ينفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيده، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده.

أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات:

أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب : أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء بقيه منه كمن أمن.

سوء العذاب : أقساه وأشده.

وقيل للظالمين : أي المشركين في جهنم.

ذوقوا ما كنتم تكسبون : أي جزاء كسبكم الشر والفساد.

كذب الذين من قبلهم : أي من قبل أهل مكة.

فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون : أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه. أو من حيث لا يخطر ببالهم

فأذاقهم الله عذاب الخزي : أي المسخ والذل والإهانة.

ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون : أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير البعث والجزاء فقوله تعالى ﴿أفمن يتقي[1] بوجهه سوء العذاب﴾ يوم القيامة إذ ليس له ما يتقي[2] به العذاب لأن يديه مغلولتان إلى عنقه فهو يتلقى العذاب بوجهه وهو أشرف أعضائه أفهذا الذي يتلقى العذاب بل سوء العذاب كمن أمن العذاب ودخل الجنة؟ والجواب لا يستويان. وقوله تعالى ﴿وقيل للظالمين[3]﴾ أي المشركين وهم في النار يقول لهم زبانية جهنم توبيخاً لهم وتقريعاً ذوقوا ما كنتم تكسبون من أعمال الشرك والمعاصي هذا جزاؤه فذوقوه عذاباً أليما. وقوله تعالى ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ أي كذب قبل أهل مكة أمم وشعوب كذبوا رسلهم فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وذلك كالذل والمسخ والقتل والأسر والسبي ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وهم صائرون إليه لا محالة وقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون عنه علما يقينيا ما كذبوا رسلهم ولا كفروا بربهم. فهلكوا بجهلهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ تقرير البعث والجزاء بذكر شيء من أحوال يوم القيامة.

٢ـ تهديد قريش على إصرارها على التكذيب للرسول وما جاءها به من الإسلام.

٣ـ العذاب على التكذيب والمعاصي منه الدنيوي، ومنه الأخروي.

٤ـ لو علم الناس عذاب الآخرة علما يقينيا ما كذبوا ولا كفروا ولا ظلموا فالجهل هو سبب الهلاك والشقاء دائما.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي
هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

---

(١) قال عطاء وابن زيد يرمي مكتوفاً في النار فأول شيء تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر في النار على وجهه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم والاستفهام إنكاري وفي الكلام حذف تقديره كمن هو آمن في جنات النعيم.

(٢) الاتقاء مصدر ومعناه تكلُّف الوقاية وهي الصون والدفع وفعل اتقى يتعدى إلى مفعولين ويتعدى بالياء كما في قول الشاعر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

(٣) للظالمين إظهار في محل إضمار إذ المفروض أن يقال وقيل لهم والنكتة التنديد بالشرك إذ هو الظلم وبيان العلة الموجبة لإلقائهم في جهنم على وجوههم وهي الظلم الذي هو الشرك.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

شرح الكلمات:

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من الأمم السابقة.

لعلهم يتذكرون: أي يتعظون فينزجرون عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى الإيمان والتوحيد.

قرآنا عربيا غير ذي عوج: أي حال كون المثل المجعول قرآنا عربيا لا لبس فيه ولا اختلاف فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه.

متشاكسون: أي متنازعون لسوء أخلاقهم.

ورجلا سلما: أي خالصا سالما لرجل لا شركة فيه لأحد.

هل يستويان مثلا: الجواب لا الأول في تعب وحيرة والثاني في راحة وهدوء بال.

الحمد لله: أي على ظهور الحق وبطلان الباطل.

إنك ميت: أي مقضي عليك بالموت في وقته.

وانهم ميتون: أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

عند ربكم تختصمون: أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء فيحكم الله بينكم.

فيما كنتم فيه تختلفون: أي من الشرك والتوحيد والإيمان والتكذيب.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا[1] للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ يخبر تعالى بما

---

(١) ضرب المثل ذكره والمثل الصفة الحسنة وللناس جنس الناس ويدخل فيه العرب أولا لأنه بلغتهم والناس تابعون لهم في ذلك.

من به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحها وفسادها ونجاتهاوخسرانها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج[1] فيه أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فعل ذلك لهم لعلهم يتذكرون أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون فينجون من العذاب ويسعدون. وقوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون[2] ورجلاً سلماً[3] لرجل هل يستويان[4]﴾ إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد إلا الله فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة والطباع الجافة فهم يتنازعونه هذا يقول له تعال والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد آمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم وقوله تعالى ﴿الحمد[5] لله﴾ أي الثناء بالجميل لله والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على انه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

وقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون[6]﴾ نزلت لما استبطأ المشركوت موت الرسول ﷺ أي لا شماتة في الموت إنك ستموت يارسولنا ويموتون. وقوله تعالى ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ أي مؤمنكم وكافركم قويكم وضعيفكم تقفون بين يدي الله ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين والدنيا معا.

---

(١) غير ذي عوج أي لا اختلاف فيه ولا تضاد ولا لحن فيه ولا شك قال الشاعر:

وقد أتاك يقين غير ذي عوج　　من الإله وقول غير مكذوب

(٢) متشاكسون أي مختلفون أو متعاسرون يقال رجل شكس وشرس وضرس ويقال شاكسني فلان أي ماكسني وشاحني في حقي.

(٣) قرأ الجمهور سلما وقرأ غيرهم سالماً بمعنى خالصاً فمعنى القراءتين واحد وهو الخلوص لمالك واحد.

(٤) الاستفهام إنكاري أي لا يستويان، مثلا منصوب على التميز لنسبة يستويان أي في أي شيء ميز لي.

(٥) لما سلم الخصم بأنه لا يستوي الموحد والمشرك تعين حمد الله تعالى إذ لا يعقل أن يقول المرء باستواء الرجل الذي يشترك فيه عدة رجال والآخر الذي هو خالص لرجل واحد، فكذلك الذي يعبد إلهاً واحداً لا يستوي مع من يعبد آلهة متعددة.

(٦) قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون. والميت بالتشديد من هو صائر إلى الموت والميت بسكون الياء من فارقته الحياة، في هذه الآية نعي لكل إنسان بالموت إذ أن رجلا نعي لرجل أخاه ووجده يأكل فقال له كل فقد نعي إلي أخي من قبلك فقال وكيف وأنا أول من نعاه فقال له قد نعاه الله إليَّ في قوله إنك ميت وإنهم ميتون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية ضرب الأمثال للمبالغة في الإفهام والهداية لمن يراد هدايته.

٢ـ بيان مثل المشرك والموحد، فالمشرك في حيرة وتعب، والموحد في راحة وهدوء بال.

٣ـ تقرير أن كل نفس ذائقة الموت.

٤ـ بيان أن خصومة ستكون يوم القيامة ويقضي الله تعالى فيها بالحق لأنه هو الحق.